



الأعمال الشعرية الكاملة

حتى عام ٢٠١٨

علي طه النوباني

علي طه النوباني

الأعمال الشعرية الكاملة

حتى عام ٢٠١٨

تأليف:

علي طه النوباني

الأعمال الشعرية الكاملة

حتى عام ٢٠١٨

علي طه النوباني

الأعمال الشعرية الكاملة

حتى عام ٢٠١٨

تأليف:

علي طه النوباني

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
٢٠١٩/٧/٣٥٦٢

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى
مصنفه ولا يُعَبَّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة
الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

الأعمال الشعرية الكاملة حتى عام ٢٠١٨
تأليف: علي طه النوباني

الناشر: المؤلف: علي طه النوباني
جرش- الأردن- الرمز البريدي ٢٦١١٠
هاتف نقال: ٠٠٩٦٢٧٧٧٨٤٩٠٨٣
البريد الإلكتروني: alitnobani@gmail.com
تصميم الغلاف والتصميم الداخلي: علي طه النوباني
الطبعة الأولى ٢٠١٩

ISBN 978-9957-67-307-9 (ردمك)

حقوق الطبع والنشر:

- يسمح بطبع ونشر هذا الكتاب أو أي جزء منه ورقياً أو إلكترونياً بشرط ذكر المؤلف في مكان بارز، وبشرط عدم التصرف بالنص بأي شكل من الأشكال. ويفضّل إعلام المؤلف بذلك عن طريق الهاتف أو البريد الإلكتروني.
- يسمح بترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه إلى أي لغة أخرى بشرط ذكر المؤلف في مكان بارز، وذكر المترجم حسب الأصول، ويفضّل إعلام المؤلف بذلك عن طريق الهاتف أو البريد الإلكتروني.
- يسمح بغناء القصائد بشرط ذكر المؤلف في المستندات القانونية الخاصة بالأغنية وفي الإعلانات عنها، ولكن يشترط العودة للمؤلف عند التصرف بالنص. يحتفظ المؤلف بأية حقوق أخرى لم ترد في البنود أعلاه.

المحتويات

١١	سيرة ذاتية
١٥	إهداء
١٧	مقدمة المؤلف
٢٣	ديوان جنازة حمورابي الأخيرة
٢٥	جنازة حمورابي الأخيرة
٣٥	مرثية في سوق عكاظ
٤١	الجذام
٤٧	كابوس
٥٤	الحدود
٥٩	التمساح
٦٥	ديوان دورة تشرين
٦٦	الحضارة
٦٨	الصيف الأصفر
٧٦	قال الراوي
٨٣	أغنية لليأس
٩١	دورة تشرين
٩٧	الصخرة
١٠٠	قمر من عشتار
١٠٧	لعنة هابيل
١١٩	ديوان الدرب والحكايات
١٢١	هذه أشياني
١٢٥	دائرة الزمن المسحور
١٢٩	الدرب والحكايات
١٣٢	المربع والدائرة
١٣٣	الرحيل
١٣٤	الغرف العليا
١٣٧	كرويتي

١٣٩	الأيدي
١٤١	يدي في النار
١٤٤	مرتحل إلى الشمس
١٤٩	سابلة الدنيا والبيدر
١٥٢	بداية
١٥٣	طفل وحكاية
١٥٧	حقل ومازوت
١٥٩	كومة الرحيل
١٦١	عناق
١٦٢	شموع
١٦٣	فكرة
١٦٤	الشارع
١٦٥	حيرة
١٦٧	ديوان شارع آخر
١٦٩	الأرض حبيبتنا
١٧٤	الخرز العسلي
١٧٧	شارع آخر
١٨٣	الخروج من باب الدخول
١٨٨	عاشق
١٩٠	غبار
١٩٢	الزجاج
١٩٣	أرق
١٩٤	زرافة
١٩٥	الفجر
١٩٦	الزوبعة
٢٠١	العامد والكسالى
٢٠٧	إلى جاليليو
٢٠٩	صبية من جدارا اسمها حوران
٢١٨	رسالة إلى الحرية

٢٢٢	نافذة الصباح
٢٢٣	وطن
٢٢٤	الصفحة
٢٢٧	ركاب الأحبة
٢٣٠	وادي الزواحف
٢٣١	غاية
٢٣٢	قمر المستحيل
٢٣٧	ديوان عندما نَقمت علينا الريح
٢٣٩	خذلان
٢٤٠	الوجه الثاني
٢٤١	الشوك جميل أيضا
٢٤٣	الكاهن والكلمات
٢٤٦	قصص الدوار
٢٤٨	حكاية الأيام
٢٥٥	المسافر والطريق
٢٦٥	فراشتي الحبيبة
٢٦٧	قراءة في كف حبيبتني
٢٧٠	البحر والرمال
٢٧٣	في عينيك
٢٧٥	عندما نَقمت علينا الريح
٢٨٦	رحلة في جسد الافتراس
٢٨٨	لقاء العاشقين
٢٩١	مرثية الغريب
٢٩٧	لوز ودمع
٢٩٩	قبل البرد بعد البرد
٣٠٢	كأس آخر من بيروت
٣٠٥	صباح
٣٠٧	صديق
٣٠٩	عنتر ودائرة النحاس

٣١٣	ترحال
٣١٤	سؤال
٣١٥	سكينة
٣١٧	المشقة
٣١٩	أفق المقبرة
٣٢١	مرارة
٣٢٣	قصائد لم تنشر في ديوان
٣٢٥	رسالة إلى كيسان
٣٢٩	المجد للشهداء
٣٣٣	كيف تنام
٣٣٥	عهد فلسطين
٣٣٧	أنشودة العرب
٣٤٢	لامية الهمج
٣٥١	مجد الصغار
٣٥٤	ما زلت هنا
٣٥٧	قاربي في البحر معطوب
٣٦٠	أنى لك هذا
٣٦٢	درب وزهر
٣٦٧	صمت الهوى
٣٧٣	عشق
٣٧٥	أذكريني
٣٧٧	اللحن الحبيب
٣٧٩	مدّ الصعاليك

علي طه النوباني

- من مواليد مدينة جرش سنة ١٩٦٨.
- تلقى تعليمه في مدارس جرش.
- عضو رابطة الكتّاب الأردنيين.
- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب.
- عضو مؤسس في ملتقى جرش الأدبي (رواق جرش).
- رئيس ملتقى جرش الأدبي (رواق جرش) منذ عام ١٩٩٧ وحتى نهاية عام ٢٠٠٢.
- رئيس رابطة الكتّاب الأردنيين - فرع جرش.
- رئيس جمعية أصدقاء التنمية والاستثمار سابقاً.
- عضو سابق في هيئة تحرير مجلة عرار الثقافية التي أصدرتها مديريات الثقافة في إقليم شمال الأردن عام ٢٠٠١.
- *عضو سابق في هيئة تحرير مجلة أوراق- مجلة رابطة الكتّاب الأردنيين.

- عضو جمعية مواسم للفنون وإحياء التراث.
- *عضو حركة شعراء العالم.
- نشر عدداً من القصائد والقصص القصيرة والمقالات في الصحف والمجلات الأردنية والعربية وله العديد من المواد الأدبية المنشورة على الفضاء الإلكتروني وكذلك مواد شعرية مسجلة بصوته على يوتيوب
<http://www.youtube.com/user/alitnobani1>
- نشر العديد من نتاجه الإبداعي باللغة العربية على موقعه الإلكتروني "حبيبتنا"
<http://habibatuna.blogspot.com>
- نشر العديد من القصائد التي كتبها باللغة الإنجليزية على موقعه الإلكتروني THE BIRD
<http://www.thebirdali.com>

- المؤهلات العلمية:
- بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة اليرموك
سنة ١٩٩٥ .
- دبلوم كليات المجتمع في المحاسبة من كلية جرش سنة
١٩٨٨ م .
- حاصل على شهادة معالج إدمان من مؤسسة الحرية من
الإدمان والإيدز في مصر .
- صدر له :
- جنازة حمورابي الأخيرة، ديوان شعر، عن دار
قدسية للنشر والتوزيع، إربد - الأردن،
١٩٩٣ م .
- دورة تشرين، ديوان شعر ، بدعم من وزارة
الثقافة الأردنية ، مطبعة كنعان، إربد - الأردن،
١٩٩٧ م .

✚ الدرب والحكايات، ديوان شعر، بدعم من
أمانة عمّان الكبرى، عن دار الكرمل للنشر
والتوزيع، عمّان - الأردن، ٢٠٠١م.

✚ جامعو الدوائر الصفراء، مجموعة قصصية ،
بدعم من وزارة الثقافة الأردنية، عن دار أزمنة
للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن، ٢٠٠٤م.

✚ شارع آخر، ديوان شعر، بدعم من وزارة الثقافة
الأردنية، عن دار ورد للنشر والتوزيع، عمّان -
الأردن، ٢٠٠٩م.

✚ ملح إنجليزي، مجموعة قصصية، منشورات
وزارة الثقافة الأردنية، عمّان - الأردن، ٢٠١٥.

✚ عندما نقت علينا الريح، مجموعة شعرية / عن
المفرق مدينة الثقافة الأردنية، وزارة الثقافة،
عمّان - الأردن، ٢٠١٧.

✚ دموع فينيس، رواية، صدرت عن دار البيروني
للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ٢٠١٧.

إهداء

إلى روح والدي رحمه الله



صورتني مع والدي، جرش سنة ١٩٧٦م

رَأَيْتُكَ وَاللَّيَالِي مُقْمِرَاتُ وَوَجْهَكَ يَا أَبِي يُحْيِي الشَّبَابَا
وَقُلْتُ بِأَنْنِي تَعَبٌ وَصَدْرِي يُمِيطُ النَّارَ عَنِ نَارِ عَذَابَا
وَكَانَ الْأَفْقُ فِي وَجَعِ التَّجَلِّي جَرِيحًا صَامِتًا أَنْفَ الْعِتَابَا
عَلَى دَرْبٍ تَهَالِكُ مِنْ خَطَانَا وَمِنْ خَطَأٍ يُخَاتِلُنَا الصَّوَابَا

من قصيدة: مرثية الغريب، ديوان عندما نقتم علينا الريح

الأعمال الشعرية الكاملة حتى عام ٢٠١٨ علي طه النوباني

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

كُنْتُ مَعَ الْعَائِلَةِ، نَجْتَمِعُ فِي حَوْشِ الدَّارِ تَحْتَ
الدَّالِيَةِ^١ فِي لِيَالِي الصَّيْفِ الْحَارَّةِ فِي مَطْلَعِ سَبْعِينَاتِ الْقَرْنِ
الْمَاضِي. كَانَ وَالِدِي يُحْضِرُ دَفْتَرَ أَشْعَارِهِ وَيُنْشِدُ
الْقَصِيدَةَ تِلْوًا الْقَصِيدَةَ وَنَحْنُ نَسْتَمِعُ، وَأَحْيَانًا كَانَ الضِّيُوفُ
مِنَ الْأَقْرَابِ يَطْلُبُونَ قَصِيدَةَ بَعِينَهَا؛ فَيَلْبِي وَالِدِي رَغْبَاتِهِمْ
وَيُنْشِدُ بِنَبْرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ: هَذِهِ شَرُوقِي، وَتِلْكَ
هَجِينِي، وَتِلْكَ قَصِيدَةُ فَصِيحَةٍ. كَانَ التَّنْغِيمُ مُمْتَعًا
وَيُغْنِي عَنِ الدَّلَالَةِ الَّتِي تَغِيبُ أحيانًا عَنِ طِفْلِ لَمْ يَعْرِفْ حِينَهَا
الكثير عن الحياة، بَلْ إِنَّ مُرَاقَبَةَ انْفِعَالَاتِ وَالِدِي الشَّاعِرِ
كَانَتْ تَمْنَحُ أَفْقًا وَاسِعًا لِلتَّخِيلِ وَالتَّفْكِيرِ بَيْنَمَا كَانَتْ
النُّجُومُ تُطَلُّ مِنْ بَيْنِ أَوْرَاقِ الدَّوَالِي.

^١ الدالية هي شجرة العنب أو الكرمة، كان يتم إطلاقها لتنمو على شبك خشبي أو حديدي فوق ساحة البيت التي كان الناس يطلقون عليها كلمة حَوْشِ الدَّارِ.

وَكُلَّمَا تَمَنَّتْ وَالِدَتِي أَمْرًا وَتَحَقَّقَ، كَانَتْ تَطْلُبُ
من والدي أَنْ تُنْفِذَ نَذْرًا نَذَرْتُهُ عَلَى نَفْسِهَا بِأَنْ تُقِيمَ مَوْلَدًا،
والمولد هو احتفالية المولد النبوي التي تدعو فيها بعض
الأقارب، فَيُنشِدُ والدي أشعارًا من المديح النبوي، يَمزجُ
فيها مقاطع من أشهر المدائح النبوية للبوصيري وابن الخياط
وغيرهم، وتأتي مقاطع يُشَارِكُ فيها الضيوف بترديد بيت
شعريٍّ مشهور مثل:

كُلُّ الْقُلُوبِ إِلَى الْحَبِيبِ تَمِيلُ وَمَعِيَ بِذَلِكَ شَاهِدٌ وَدَلِيلُ

وَبَعْدَ ذَلِكَ تُقَدِّمُ بعض الأَطْعَمَةَ والحلويات التي
دأب الناس على تقديمها في الموالد.

هكذا وَجَدْتُ طُفُولَتِي مُتَعَلِّقَةً بالشعر. شاهدتُ
مُسلسلاً عن حَيَاةِ الْمُتَنَبِّي، وَبَدَأْتُ أَسْتَعِيرُ دَوَاوِينَ الشعر
من مكتبة المدرسة، فكانت أولى مُحاولاتي لكتابة الشعر

مبكرة في المرحلتين الابتدائية والإعدادية جرياً على ما سمعتُ وقرأتُ من الشعر العمودي.

بعد ذلك أطلعتُ على ما طرأ من تَغْيِرَاتٍ على القصيدة العربية في العصر الحديث، قرأتُ جزءاً كبيراً من أشعار جماعة الديوان وجماعة أبولو وشعراء المهجر ونازك الملائكة والسياب، ثمَّ أدونيس ودرويش ويوسف الخال وغيرهم، كما قرأتُ تجارب جميلة في قصيدة النثر لمحمد الماغوط وأنسي الحاج وغيرهم.

انتقلتُ إلى قصيدة التفعيلة، ثمَّ وجدْتُني أكتبُ قصيدة النثر، ولكنني لم أهُجُرَ أَيَّاً من أشكال القصيدة التي كتبتها؛ حيثُ بقيَ لِكُلِّ منها ظَرْفُهُ وحالتهُ الشُّعُورِيَّةُ التي تستدعيه. والحقيقةُ أنني لستُ مع الصَّرامَةِ في الثَّباتِ على شكلٍ كلاسيكي واحدٍ للشعر؛ ففَتَّحُ البابُ أمامَ التنوع والتَّجريب من شأنه أن يُغني الحَرَكَةَ الشعرية في بلادنا

العربية وَيُنَاسِبِ الأذواقَ المُتَنَوِّعةَ، والأفكارَ المُتَفَاوِتَةَ في
عُمُقِهَا وتَعْقِيدِهَا.

أما قَصِيدَةُ النثر التي شَغَلَتِ العَدِيدَ مِنَ النقادِ في
العصرِ الحديثِ، فَأَنَا أَنْظِرُ إِلَيْهَا على أَنَّهَا شَكْلٌ ضَرُورِيٌّ مِنْ
أَشْكَالِ الشَّعْرِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ لَهَا الحَالَةَ الشُّعُورِيَّةَ التي
تَسْتَدْعِيهَا، والتي لا تَحْتَمِلُ الِلتِزَامَ بِأوزانِ الخليلِ التي
تُقَيِّدُ الجُمْلَةَ الشَّعْرِيَّةَ، وتَقِفُ بِصِرَامَةٍ أمامَ حُرِّيَّةِ تَشْكِيلِ
العِبَارَةِ الشَّعْرِيَّةِ.

إِنَّ أَغْلَبِيَّةَ مَنْ يُنَاصِبُونَ قَصِيدَةَ النثرِ العَدَاءَ
يَعْتَمِدُونَ على حُجَّةٍ وَاهِيَةٍ مُفَادُهَا أَنَّ الوزنَ هو أساسُ الشَّعْرِ
وموسيقاه؛ وَأَنَّ الوزنَ يُشَكِّلُ عَائِقًا أمامَ مَنْ يَرِغِبُ في
كِتَابَةِ الشَّعْرِ دونَ مَوْهَبَةٍ، وَأَنَّ الوزنَ هو عُنْصُرٌ أَساسِيٌّ
في تعريفِ هذا الجِنْسِ الأدبيِّ؛ وَلَكِنْ هَلْ قامَ الوزنُ بهذا
الدورِ في كلِّ العصورِ، وفي العصرِ الحديثِ بشكلٍ خاصٍّ؟ ما
أَكْثَرَ الكِتَابَاتِ الشَّعْرِيَّةَ المَوْزونةَ التي لا تساوي الحِبرَ

الذي كُتِبَتْ بِهِ، فَعَمَلِيَّةُ الْفَرْزِ النَّقْدِيِّ وَاجِبَةٌ فِي
الشِّعْرِ الْمَوْزُونِ وَغَيْرِ الْمَوْزُونِ عَلَى السَّوَاءِ، وَإِذَا كَانَ
الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَهَاذَا هَذِهِ الصَّرَامَةُ فِي التَّعْرِيفِ وَالَّتِي لَا
تُقَدِّمُ وَلَا تُؤَخِّرُ فِي تَحْدِيدِ الْغَثِّ مِنَ السَّمِينِ؛ إِلَّا إِذَا
كَانَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّسْهِيلِ عَلَى النَّقَادِ لِيُصْدِرُوا أَحْكَامًا
بِالْجُمْلَةِ عَلَى الْقَصَائِدِ غَيْرِ الْمَوْزُونَةِ وَهُوَ مَا لَا يَدْخُلُ فِي
دَوْرِ النَّقْدِ بِاعْتِقَادِي.

وَلَا يَفُوتُنِي أَنَّ أُشِيرَ إِلَى مَا تَحْتَمِلُهُ اللُّغَةُ
العَرَبِيَّةُ مِنْ صِيغٍ وَتَعَابِيرٍ وَأَسَالِبٍ مُتَنَوِّعَةٍ يُمَكِّنُ
لِقَصِيدَةِ النَّثْرِ أَنْ تَصْنَعَ مِنْهَا بِنَى إِيقَاعِيَّةً مُتَنَوِّعَةً
وَثَرِيَّةً تَفُوقُ أَوْزَانَ الْخَلِيلِ، وَتَفْتَحُ أَبْوَابًا لِتَشْكِيلَاتٍ
شِعْرِيَّةٍ لَا حَصْرَ لَهَا، وَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ لَا تَمْنَعُ النَّاقِدَ
مِنْ تَرْسِيخِ أَشْكَالٍ شِعْرِيَّةٍ أَكْثَرَ تَوَافُقًا مَعَ رُوحِ الْعَصْرِ بِمَا يَقُومُ
بِهِ مِنْ جَهْدٍ لِتَحْلِيلِهَا وَبَحْثِ عَنَاصِرِهَا.

لَقَدْ عَايَشْتُ جِيلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مِنْ حَيْثُ طَبِيعَةُ
الْحَيَاةِ وَأَسَالِيبِ الْإِتِّصَالِ وَالتَّوَاصُلِ، فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الْمَاضِي
انْحَصَرَتْ طَرِيقُ النَّشْرِ تَقْرِيْبًا فِي الطَّبَاعَةِ الْوَرَقِيَّةِ وَالنَّشْرُ فِي
الْمَجَلَّاتِ، وَكَانَ الْعَاقِبُ الْأَكْبَرُ هُوَ التَّوْزِيعُ خَاصَّةً إِذَا مَا
تَحَدَّثْنَا عَنِ عَالَمِنَا الْعَرَبِيِّ الْمُمْتَدِّ الَّذِي يَحْتَمِلُ قُرَاءَ كَثْرًا
فِي الْمِهَاجِرِ أَيْضًا؛ أَمَّا فِي الْمَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ فَقَدْ بَدَأَتْ الْمَشْكَلَةُ
بِالتَّضَاوُلِ مَعَ انْتِشَارِ الْإِنْتَرْنِتِ، وَتَوَفَّرُ صِيغٌ مُنَاسِبَةٌ
لِتَنَاقُلِ الْكُتُبِ الْإِلِكْتُرُونِيًّا دُونَمَا طَبَاعَةَ وَرَقِيَّةً، فَرَغِبْتُ أَنْ
أُقَدِّمَ نَتَاجِي الشَّعْرِيِّ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ يَضُمُّ أَشْعَارِي الَّتِي
كُتِبَتْهَا حَتَّى عَامِ ٢٠١٨.

وَمَا أَنَا أَضَعُ أَشْعَارِي بَيْنَ يَدَيِ الْقَارِئِ وَالْبَاحِثِ
الْعَرَبِيِّ آمَلًا أَنْ تَنَالَ رِضَاهُ وَتَقْدِيرُهُ.

علي طه النوباني

جرش ٢٧/٤/٢٠١٩

ديوان جنازة حمورابي الأخيرة

صدر عن دار قدسية للنشر والتوزيع سنة

١٩٩٣ في إربد - الأردن

الأعمال الشعرية الكاملة حتى عام ٢٠١٨ علي طه النوباني

جَنَازَةٌ حَمُورَابِي الأَخِيرَةَ

يَجْتَا حُنِي الإِصْبَارُ فِي وَصَحِ النَّهَارِ
وَأُفْلِسُ الإِنْسَانِيَّةَ أَلْفَ مَرَّةٍ
فَيَضِيعُ المَنْطِقُ فِي كُلِّ مَسَارِ
وَأُغْنِي:

مَا عَادَ للتَّارِيخِ كَرَّهُ

وَأَرَى مَجْزَرَةَ الجِيَاعِ

مَا بَيْنَ أَوْسَمَةِ الْمَجْرَةِ

تَرْتِيلَةَ الْأَسْمَاءِ فِي تَارِيخِ رُومَا

وَفَخَامَةَ الْإِنِّشَاءِ فِي كُتُبِ الْعَرَبِ

وَعَلَى قَلْبِي عُمَالُ الْمَنْجَمِ

حَمَلُوا إِزْمِيلًا وَمِطْرَقَةً

حَفَرُوا فِي قَلْبِي بَيْتًا ثُمَّ مَدْرَسَةً

رَقَصُوا ثُمَّ غَنَوْا لِلسَّلَامِ

وَأَنَا الْمِسْكِينُ عَلَى مَائِدَةِ اللَّثَامِ

وَأَنَا الثَّورُ عَلَى قِرْنِي كُرَّةٌ مَأْفُونَةٌ

وَعَلَى دَرَبِي أَوْتَارٌ مَجْنُونَةٌ

وَعُيُونٌ مَحْزُونَةٌ

وَجِياعٌ لا تَعْرِفُ لِلخَبِيزِ مذاقاً
وَكِلابٌ لا تَعْرِفُ لِلحُبِّ مذاقاً
ما أرخَصَ الإنسانَ في سوقِ الذهبِ
نُمرودٌ يُلقي القَمَحَ في عُمقِ المُحيطِ
وَيراقِبُ الدولارَ يوماً بعدَ يومٍ
والكُتلةُ السَّوداءُ في قلبِ الجِيعِ
تَكبُرُ يوماً بعدَ يومٍ

أما وَقَد مات حَمورابي فإني
أَلقي قُبلةَ الغازِ على أفواهِ الجِيعِ
تَتلامعُ الأَدْمَعُ في ليلِ الضَّياعِ
فَتَظنُّها طَبائِعَ الكَوْنِ الجَدِيدَةِ

وَتَحِيطُهَا أَلْقَابُ تَهْوِيلٍ عَدِيدَةٍ
وَتَضِيعُ مَا بَيْنَ الْكُتُبِ
أَقْصَوْصَةً تُحْكِي لِطِفْلِ كِي يَنَامُ
يُحِيطُ بِالتَّابُوتِ شَيْءٌ مِنَ الظَّلَامِ
وَيَسِيرُ نَمْرُودُ سَعِيداً فِي الْجَنَازَةِ
يُحْرِقُ مَقْبَرَةَ الْمُلُوكِ
يَقْطَعُ رَأْسَ كُلِّ قَاضٍ عَادِلٍ
وَيَقْدَمُ الْمُتَهَمُونَ أَمَامَ الْمُحَلِّفِينَ
فَتَقْدِفُ السِّكِّينُ فِي عُمُقِ الْمُحِيطِ
وَيَصْفِقُ النُّمْرُودُ مِنْ فَرَطِ الْخُشُوعِ
وَضَمِيرُ الْعَالَمِ يُطْعَنُ فِي الضُّلُوعِ

وَهُنَاكَ مِنْ حَوْلِ حُدُودِ عَالَمِنَا الْبَعِيدَةِ
يَنْفُخُ مَشْبُوبُ الْأَسَى فِي نَائِيهِ
وَاللَّحْنُ مَنِهَوَكٌ يُغَدِّي مَسْمَعَ الْوَادِي الْكَثِيبِ

مليون عام

وَالجُدُولُ الْمَنِهَوَكُ مَبْلُولٌ رَطِيبٌ
وَالعَازِفُ الْمَغْلُوبُ مَا ذَاقَ الْمِيَاهُ

مليون عام

أواهٍ أواه

وَعَرُوسَةُ النِّيلِ عَلَى حَدِّ السَّمَاءِ
وَالعَازِفُ الْمَغْلُوبُ يَأْمَلُ أَنْ تَعُودَ
وَالنَّايُ فِي يَدِهِ يُمَزِّقُهُ الزَّمَنُ
وَتَلُوكُهُ أَلْسِنَةُ الْعُهُودِ

تَعود؟

لا ... هِيَ لَنْ تَعود

يَا كوكبَ الأَرْضِ الحَزِينِ

هِيَاتَ تَبَحْثُ فِي السُّطُورِ

مَا بَيْنَ أَرْوَقَةِ القُصُورِ

الحُلْمِ يُوْشِكُ أَنْ يَبِينِ

وَالنُّورُ تَقْتُلُهُ الدُّهُورُ

هِيَاتَ تَسْأَلُ مَا المَصِيرِ

فَعَلَى أَبْوَابِ مَجَرَّتِنَا الكَثِيبَةِ

تَزْحَفُ طِفْلَةٌ عَلَيَّ وَجَنَاتِهَا

شُعْلٌ رَهيبَةٌ

يَتَخَبَّطُ الثُّعْبَانُ فِي أَمْعَائِهَا
تَتَهَادِي فِي عَيْنَيْهَا أَطْيَافُ تَوْسَلُ
وَيَسِيرُ شَمَشُونَ عَلَى أَشْلَائِهَا
يَلْتَهُمُ الضَّوْءُ عَلَى أَفُقِ السَّمَاءِ
وَيَدُوسُ الفَرْحَةَ فِي كَبِدِ الرَّجَاءِ
وَتَسِيرُ طِفْلَتُنَا كَأَلْفِ أَلْفِ عَامٍ
بَيْنَ الحُطَامِ
تَتَهَاوَى كُتْلُ الرَّمَادِ
تَنْسَابُ أَوْرَاقُ الخَرِيفِ
فَوْقَ العِظَامِ

دِفْءُ الأَسْرَةِ لَمْ يَعُدَّ حَقَّ الجَمِيعِ

فَالْعَيْدُ يَزْحَفُ وَالرَّبِيعُ
وَالْعَالَمَ الْمَجْنُونَ تَأْسُرُهُ الْبِنَادِقُ
فَيَقْطَعُ الْأَشْجَارَ فِي الْأَرْضِ وَيَحْفِرُ الْخَنَادِقُ
مِنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ الْجَلْدُ

يا صاحبي

وَاللَّيْلُ قَدْ يَبْقَى لِلْأَبْدُ

وَالزَّهْرُ أَصْبَحَ قَاتِمًا

وَالصَّبْرُ أَدْبَرَ وَابْتَعَدَ

نَحْنُ الَّذِينَ سَفَكْنَا الدِّمَاءَ فِي زُمْرِ الطَّرِيقِ

لَا بَأْسَ يَا بُرْكَانُ إِنْ تُحْرِقْنَا الْحِمَمَ

لَا بَأْسَ يَا زَلْزَالَ إِذَا اشْتَعَلَ الْأَلَمُ

لا بأس يا أحلامُ إذا انسابَ البريقُ
فالنصفُ في الملهي يرقصون، ونصفُ عالمنا غريقُ
أمَّا وقد ماتَ حمورابي فإني
سمعتُ هاتِفًا يُنادي في السَّحرِ
والشَّمسُ تصرخُ والقمرُ
والله ما عدلَ البشرُ
والله ما عدلَ البشرُ

وعشرةٌ يتجمعونَ حولَ عودِ ثِقَابِ
يستلهمونَ الدِّفءَ في بردِ الشِّتاءِ
نمرودُ ينفخُ فوقَ العودِ لينطفئِ
وشياطينُ الأرضِ تُحاكي ملائكةَ السماءِ

وَمَخَالِبُ التُّمْرُودِ تُغْرَسُ فِي هَيْكَلِ سَارِقِ النَّارِ

يَا كُلَّ عَالِمِنَا أَبْحَثْ عَنْ ضِيَاءِ

نَارِ الْحَقِيقَةِ لَا جَنَّةَ الرِّيَاءِ

نَارِ الْحَقِيقَةِ لَا جَنَّةَ الرِّيَاءِ

م ١ / ١٢ / ١٩٨٨

مَرثِيَةٌ فِي سُوقِ عُكَاظٍ

عَبَثًا تُفْتَشُ عَنْ جَدِيدٍ

وَتُبَعِّرُ الْأُورَاقَ

وَتَحْرُقُ الْأَحْدَاقَ

لِيَكُنْ فُؤَادُكَ مِنْ حَدِيدٍ

فَلِسَانَكَ الْمَشْدُودُ بَيْنَ سَلْسَلِ الْأَخْطَارِ

مُتَاكِلٌ بِبِنَادِقِ الْأَشْرَارِ

عَبَثًا تُحَاوِلُ أَنْ تُمْنَطِقَ عَالَمًا

اعْتَادَ مَزَجَ سُكُونِهِ بِالنَّارِ

أَنْشُدْ نَشِيدَكَ، عَلَّ قَلْبِكَ يَرْتَوِي

فَالْكَوْنُ يَسْمَعُ لِحَنَانَا

وَالنَّاسُ كَالْأَحْجَارِ

صُمِّمَ مَعَالِمُهُمْ كَشُرْفَةِ دَارِي

وَتَقُولُ لِي:

عَيْنَاكَ تَعَشِقُ دَمْعِي

وَلَهَا أَعِيشَ؟

جَمَلُ الْمَحَامِلِ بَيْنَنَا

وَرَفِيقُنَا طَوْلَ الطَّرِيقِ

فَالنَّاسُ تَعشَقُ دَمْعَنَا

وَلَهُمْ نَعِيشٌ

عَبَثًا تُحَاوِلُ يَا حَبِيبِي

فَدُمُوعُنَا

وَشُمُوعُنَا

أَبَدًا لَهُمْ

لَكِنَّهُمْ لَيْسُوا هُنَا

فَرَوْسُهُمْ غُمِسَتْ بِمَخْدَعِ عَاهِرَةٍ

شَرَبُوا الكُؤُوسَ الحَائِرَةَ

جَمَلُ المَحَامِلِ بَيْنَنَا

وَرَفِيقُنَا

طَوَلَ الطَّرِيقَ

عَبَثًا تُحَاوِلُ يَا حَبِيبِي

فَرَبِيعُنَا

كَخَرِيفِنَا

مَا دَامَ أَعْدَاءُ النَّاسِ نَاسٌ

الْكَأْسُ مُتَرَعَّةٌ تُرَوِي أَرْضَنَا

لَكِنَّا

نَتَنَازَعُ الْأَشْيَاءَ نَسْكُبُ كَأْسَنَا

وَتُخَضِّبُ التَّارِيخَ أَنْهَارُ الدِّمَاءِ

الْمُجْرِمُونَ يَدُوسُونَ الْأَبْرِيَاءَ

بِاسْمِ الْبُطُولَةِ وَالْفِدَاءِ

عَبَثًا تُحَاوِلُ يَا حَبِيبِي

أَحْلَامُنَا مَسْجُونَةٌ فِي قَلْعَةِ الشُّعْرَاءِ فِي أُنْفُقِ السَّمَاءِ

زَعَمَ الْجَمِيعُ بِأَنَّهَا
سَهْلٌ بِسَيْطُ ذُو امْتِنَاعٍ
وُضِعَتْ عَلَى الرَّفِّ وَالَّتِ لِلضِّيَاعِ
وَمَضُوا عَلَى دَرَبِ الدِّمَاءِ
الْمُجْرِمُونَ يَدُوسُونَ الْأَبْرِيَاءِ
بِاسْمِ الْبَطُولَةِ وَالْفِدَاءِ
وَنَحْنُ نَنْظُرُ لِلسَّمَاءِ
وَعُيُونُنَا تَتَّبِعُ اللَّحْنَ الْأَسِيرِ
مَا عَادَ يَسْمَعُنَا أَحَدٌ
وَمَنَابِرُ الشُّعْرَاءِ فِي الرَّمَقِ الْأَخِيرِ
وَقَفَّتْ عَلَى غَيْرِ عَمَدٍ
تَتَوَسَّلُ الْأَسْمَاعَ لَكِنْ لَا أَحَدٌ

مَاذَا جَرَى بَيْنَ عَشِيَّةٍ وَضُحَاهَا

النَّارُ دَبَّتْ فِي الْقُلُوبِ رَحَاهَا

قَتَلَتْ أُمَّ ابْنِهَا

وَتَرَاقَصَتْ فَوْقَ الْقَبْرِ خُطَاهَا

وَمَضَتْ تُمزِقُ ثُوبَهَا

وَكَأَنَّهَا فَقَدَتْ نُهَاهَا

وَالكُلُّ يُسْأَلُ عَنْ سَبَبِ

مَسِّ الْجُنُونِ أَصَابَهَا

وَبَعْدَهُ رُفَعِ الْعَتَبِ

١٩٨٧-٧-١

الجُذامُ

إلى أبطال الانتفاضة الأولى في فلسطين

وَهَوَى الظَّلَامُ

وَعَلَّتْ مَا ذَنَّ قَرِيَّتِي

سُحِبُ الغَمَامِ

وَتَشَتَّتْ حَوَالِي أُسْرَابِ الحَمَامِ

وَعَرَفْتُ زَائِرَنَا ... نَعَمْ؟

هُوَ الجُذَامُ

وَهَوَى الظَّلَامُ

وهذه أوصالُ جُثَّتِي تَأْكُلُهَا الوُحُوشُ

الغُولُ يَأْكُلُ مَشْرِقِي

وَأَنَا أَنَامُ

وَالخِنْجَرُ المَشْتُومُ مَزَقَ مُقْلَتِي

وَأَنَا أَنَامُ

وَعَلَى مَشَارِفِ قَرِيَّتِي

نَحْمِلُ دَلَّةَ قَهْوَةٍ

فَرَحًا بِالضَيْفِ العَزِيزِ

وَنُغْنِي

إِنَّا نُحِبُّكَ يَا جُدَامَ

إِنَّا نُحِبُّكَ يَا جُدَامَ

وَتُنَكِّسُ الأَعْلَامُ مِنْ فَرَطِ الخُشُوعِ

وَالسَّيْفُ يُصْنَعُ مِنْ كَلَامٍ

وَالنَّارُ تُصْنَعُ مِنْ كَلَامٍ

* * *

وَهَوَى الظَّلَامِ

فَلَا أَصُولَ وَلَا فُرُوعَ

وَلَا سُيُوفَ وَلَا دُرُوعَ

فَقَطَّ دُمُوعَ

وَتِجَارَتِي أَبَدًا كَلَامٍ

وَبَرَاعِمُ الدُّفْلَى تُفَجِّرُ أَسْهُمَا

وَتَقُولُ لَا:

لَا لِلظَّلَامِ

لَا لِلجُدَامِ

وَأَرَى لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي قَرِيَّتِي : طَعْمَ الْغَضَبِ

لَوْنِ الْغَضَبِ

وَأَنَا يُقَطِّعُنِي الْجَذَامُ

وَكُلُّ قِطْعَةٍ هَوَتْ مِنْ جَسَدِي

تُبْتُ فِي خَلْقٍ جَدِيدٍ

وَتَنَشُرُ الْعِصْيَانَ فِي الْجَسَدِ الْوَلِيدِ

وَإِلَى مَتَى !؟

فَاللَّذَّةُ الْحَمَقَاءُ فِي قَلْبِي تَعِيشُ

وَالْأَفْيُونُ وَالْحَشِيشُ

وَأَزْجُرُ الْكَأْسَ فَأَذْكَرُ قِصَّتِي

وَأَنَا أَبْكِي كَالنِّسَاءِ

وَتَجَارَتِي أَبَدًا كَلَامٌ

وَيْدِي يُمْرِقُهَا الْجُدَامُ

وَالدُّودُ فِي جَسَدِي أَقَامَ

وَأَنَا أَنَامُ

وَبَرَاعِمُ الدَّفْلَى تُذِيبُ حَدِيدًا مِنْ فَوْقِ شَمْعَةٍ

وَتَقُولُ لَا:

لَا لِلظَّلَامِ

لَا لِلجُدَامِ

وَأَنَا أَلْفُ أَلْفِ قِطْعَةٍ

وَبَيْنَ أَجْزَائِي خِصَامُ

وَحَبِيبَتِي يَهْتِكُ سِتْرَهَا أَوْلَادُ الْحَرَامِ

وَأَنَا أَنَامُ

وَبَرَاعِمُ الدَّفْلَى تَخُطُّ لَنَا سَطُورَ

وَجَدَاوِلَ الدَّمِّ وَالْعُطُورِ

هِيَ الْجُدُورِ

وَالْقَرْيَةَ السَّمَاءُ تَفْخَرُ مِنْ بَعِيدٍ

أَحْيَاؤُهَا

سَاحَاتُهَا

مُلِئَتْ كَلَامِ

وَأَنَا أَلْفُ أَلْفِ قِطْعَةٍ

وَبَيْنَ أَجْزَائِي خِصَامِ

١٩٨٨/٣/٢٠

كابوس

تَسْتَنْجِدُ بِي وَتُنَادِينِي
تَتَرَاقِصُ فِي عَيْنِي دَمْعَةً
تَسْتَلْهِمُ مِنِّي قُوَّتَهَا
يَتَدَفَّقُ مِنِّي ضَعْفِي قُوَّةً
يَتَجَدَّدُ فِي شَفْتِي لَحْنٌ
وَأُضِيءُ لِمَلْهَمَتِي شَمْعَةً

تَتْرِكُنِي وَحْدِي صَامِتَةً
تَتَرَاقِصُ فِي عَيْنِي دَمْعَةً
فَأُمِدُّ يَدِي وَأُنَاجِيهَا
وَأُضِيءُ ظِلَامَ دِيَاجِيهَا
وَنَسِيرٌ تُغْنِي لِلْأَمَلِ
وَنَفْتِحٌ فِي الدَّرَبِ الْأَسْوَدِ كُؤُوه

وَأَعُودُ شُعَاعًا مَنُوهًا
قَدْ غُرِسَتْ فِيهِ أُنْيَابُ ثَرَّةٍ
أَمَالًا ضَا حِكَةً
أَفْوَاهًا فَاغِرَةً
أَبْكِي لَا تَنْزِلْ لِي دَمْعَةً

أَبْحَثُ عَنْ أَنْغَامِي فِي الدُّنْيَا كَالنَّحْلَةِ

فَيَعُودُ دَلِيلِي مُحْتَارًا

وَالْبَوْمُ يُغْنِي يُشْجِينِي

وَيُفْتَحُ فِي الدَّرْبِ الْأَسْوَدِ كُوَّةً

لَوْ كَانَتْ عِنْدِي مَقْدِرَةٌ

لَرَسَمْتُ الْبُسْمَةَ يَا كُلَّ الْبُؤْسَاءِ

لَخَلَقْتُ الضِّحْكَةَ فِي صَخَبِ الْآلِه

وَخَلَقْتُ رَجَاءً

لَكِنْ

وَأَسْفِي، فَأَنَا مَنْبُودٌ خَلْفَ جِدَارِ الْإِنْسَانِيَّةِ

وَكَذَا كُلُّ الْبُؤْسَاءِ

أَحْلَامٌ مَزْرُوبَةٌ

فِي دَرْبِ مَجْنُونٍ أَسْوَدَ

أَبْكَى لَا تَنْزِلُ لِي دَمْعَةٌ

وَأُضِي لِمُلْهَمَتِي شَمْعَةٌ

وَكَلاْنَا نَبَحْتُ عَنْ فِرْقَدَ

وَتَبَاعًا أَلْفِينِي وَحَدِي

وَالبَوْمُ يُغْنِي يُشْجِينِي

وَيُفْتِحُ فِي الدَّرْبِ الْأَسْوَدِ كُوَّةَ

وَشُعَاعٍ فِي الْأَفْقِ الْمُظْلَمِ

يَتَسَاقُطُ فِي عُمُقِ الْهُوَّةِ

وَصُرَاخٍ يَصْلِي أُذُنِي لَا أَعْرِفُ مَبْعَثَهُ

أَوْصَالَ تُقْطَعُ فِي جَوْفِهِ

وَالدُّنْيَا مَا زَالَتْ دُنْيَا
أَسْيَافٌ تَبْتَرُهُ إِرْبًا
يَسْتَنْجِدُ بِي وَيُنَادِينِي
وَيَطُولُ الْبَحْثُ إِلَى خَيْبَةٍ
وَيَعُودُ دَلِيلِي مُخْتَارًا
وَالنَّحْسُ رَفِيقِي يُشْجِينِي
فِي حَدِيثِي، وَيَسْلِينِي
وَأُنَادِي ظَمَانًا
فَيَغْطُ الْكَأْسَ وَيَرُونِي
وَالضَّعْفُ رَفِيقُ الْأَحْلَامِ
يُبْرِقُ نَفْحًا فِيهِ الْقُوَّةُ
وَيَفْتَحُ فِي الدَّرْبِ الْأَسْوَدِ كُوَّةُ

آمَالاً ضَاكِكَةً

أَفْوَاهًا فَاغِرَةً

أَبْكِي لَا تَنْزِلْ لِي دَمْعَةً

وَيَطْوِلُ الْبَحْثُ إِلَى خَيْبَةٍ

وَالصَّرْخَةُ مِنْ أَعْمَاقِ بَاكِكِيَّةِ

تَتَضَاعَفُ فِي أَلَمِ مَجْنُونٍ

وَيُخَيِّمُ فَوْقَ الْأَرْضِ سُكُونٌ

وَأَرَى أَحَدًا يَدْنُو مِنِّي

أَبَدًا لَيْسَ غَرِيبًا عَنِّي

وَأَشْمُ عَلَيْهَا رِيَّاحَ دِمَاءٍ

تَحْمِلُ فِي يَدِهَا لِي شَمْعَةً

تُقْرِؤُنِي فِي عَيْنَيْهَا بَعْضَ رَجَاءٍ

وَتَفْتَحُ فِي الدَّرْبِ الأَسْوَدِ كُوَّةً

وَنَسِيرُ سَوِيًّا لَا نَدْرِي

نَتَلَهَّفُ شَوْقًا لِلْفَجْرِ

وَصَحَوْتُ تَعَبًا مِنْ حُلْمِي

لَيْتَكَ يَا عَرَّافُ تُفَسِّرُ حُلْمِي

١٩٨٨/١/١

الحدود

حدود، حدود، حدود

رِسُومٌ تُخَيِّطُ رِداءَ الوجودِ

قطارٍ يسيرُ

وقد لا يعودُ

هياكلٌ عظيمةٌ وعيونٌ

خِياالاتٌ وهمٌ ومَسُّ جنونِ

تُسَافِرُ خَلْفَ الْحُدُودِ

وَقَدْ لَا تَعُودُ

وَرُودِ تَمُوتُ وَشَوْكُ يَعْيشُ

فَتَذْبُلُ آمَالُنَا وَتَسْقُطُ دَمْعَةٌ

وَتَضْعُفُ أَوْصَالُنَا

وَتُطْفَأُ شَمْعَةٌ

وَمِنْ غَيْرِ رَجْعَةٍ

وَتَبْحَثُ حَوْلَكَ غَيْرَ الذِّئَابِ

وَتَبْحَثُ حَوْلَكَ غَيْرَ الْكِلَابِ

فِيَمَلَأُ أُذُنَكَ صَوْتٌ يَقُولُ:

شَرِيعَةٌ غَابَ

تُخَيِّطُ نَسِيَجَ الْعُقُولِ

فَتَذْهَبُ خَلْفَ الْحُدُودِ

وَقَدْ لَا تَعُودُ

وَنَشْرَبُ لَا نَرْتَوِي

وَيَجْرِي شِرَاعُ

وَنَسْمَعُ نَصِمَتُ أَوْ نَبْتَسِمُ

وَرَاءَ الْكَوَالِيسِ بَيْتُ الْقَصِيدِ

وَنَحْنُ كَشَمْعَةِ عِيدِ

فَنَكْتُبُ رَمْزًا

وَنُرْسِمُ رَمْزًا

وَنَضْحَكُ لَمْرًا

وَتُغْلَقُ كُلُّ النَّوَافِدِ

وَنَشْرَبُ لَا نَرْتَوِي

وَتَضْرِبُ رَأْسَكَ عُرْضَ الْجِدَارِ

فَأَنْتَ وَإِنْ كُنْتَ لُولُؤَةً

سَتَبْقَى بِقَلْبِ الْمَحَارِ

تَعْدُ النُّجُومَ بِغَيْرِ هَدَفٍ

وَتَقْرَفُ عَيْشَكَ أَيَّ قَرْفٍ

وَتَمْشِي يَهْدُكَ ذَاكَ الْجِدَارُ وَذَاكَ الْجِدَارُ

حِصَارٌ وَأَيُّ حِصَارٍ

وَتَهْرَبُ خَلْفَ الْحُدُودِ

فِي أَنْ - ذَاتَ يَوْمٍ - ظَلِمْتَ

فَلَيْسَ غَرِيبًا

فَأَمْسِ سُقَيْتَ كُؤُوسَ الْمَذَلَّةِ فِي عُقْرِ دَارِكُ

وَدَاسْتُ عَلَيْكَ كِلَابُ

فَآنَ الرَّحِيلُ وَرَاءَ السَّرَابِ

التَّمْسَاحُ

وَأَرْتَأِينَا الصَّبْرَ فِي دَرْبِ الْمُحَالِ

وَرَسَمْنَا الْوَرْدَ فِي شَوْكِ اللَّيَالِي

وَأَرْتَحَلْنَا يَا حَبِيبِي

مَا أَضْمَحَلَّتْ ثَوْرَةُ الْأَفْكَارِ فِينَا

لا ولم نَشْتَكِ الأرزاءِ حيناً
ذاتَ يومٍ أَقْفَرَتْ في شُعْلَةِ الأيَّامِ شَمْعَةٌ
وانحرفنا في مسارِ الضوءِ أشلاءَ حَزِينَةٌ
ما بَكَيْنَا يا حَبِيبِي
ما اسْتَبَقْنَا نَقْتَفِي آثَارَ دَمْعَةٍ
بَلْ رَجَعْنَا في هُدُوءِ السَّكِينَةِ
وَأَنْتَهَيْنَا
وتَوَارَى اليَوْمَ في دَرْبِ التَّجَلِّي
هَاتِفٌ رَاحَ يُولِّي
مِنْ عَيْوُنِي
مِنْ جُنُونِي
مِنْ شُجُونِي

وَرَأَيْتُ الصُّبْحَ أَشْلَاءَ كَسِيرَةً

وَشَرِبْتُ الكَأْسَ أَشْوَاقًا حَسِيرَةً

وافترقنا

ذاتَ يومٍ أَقْبَلَ التَّمْسَاحُ آفَاقًا طَوِيلَةً

سَابِحًا فِي بَحْرِ دَمْعِي

بَاكِئًا نَيْلَ الوَسِيلَةِ

قال لي:

بَيْنَ أَسْنَانِي ضُلُوعٌ وَجَدِيلَةٌ

عَذَّبَتْنِي، سَهَّرَتْنِي

وتوارى الطَّيْرُ فِي كُلِّ الرُّبُوعِ

أَفْلا تَرَحَّمُ ذُلِّي والخُضُوعِ

وَبكى التَّمْسَاحُ مِنْ فَرَطِ التَّمَنِّيِّ

وَاسْتَمَدَّ الْعَوْنَ بَعْدَ الطَّيْرِ مِنِّي

فَنَظَرْتُ اللَّحْمَ فِي فِيهِ بَقَايَا

وَالجَدِيلَةَ

اسْتَبَدَّ الصَّمْتُ فِي كُلِّ الْخَلَايَا

ثُمَّ دَبَّتْ رَعَشَةُ الْمَهْزُومِ فِي بَدَنِي

وَعَرَسَتْ يَدَيَّ بَيْنَ الشَّنَايَا

وَحَمَلْتُ ضِلْعَهَا وَالْجَدِيلَةَ

وَمَضَى التَّمْسَاحُ فِي بَحْرِ دَمْعِي

وَقَرَأْتُ فِي الدُّمُوعِ وَسِيلَةَ

وَتَوَارَى الْيَوْمَ فِي دَرْبِ التَّجَلِّي

هَاتِفٌ هَزَّ فُؤَادِي

مِنْ عَيُونِي

مِنْ جُنُونِي

مِنْ شُجُونِي

بَعْدَ عَامٍ عَادَ ضِلْعًا وَجَدِيلَةً

وَاسْتَبَدَّ الْعَازِفُ الْمَغْلُوبُ تَوًّا

شَقَّ فِي قَلْبِي سَبِيلَهُ

أَيْهَا النُّمْرُودُ عُدْتَ ضِلْعًا وَجَدِيلَةً

كُنْتَ مَبْهُورًا بِأَشْجَارِ الْمَقَابِرِ

كُنْتَ مَفْتُونًا بِالْأَلْوَانِ الْمَجَازِرِ

لَا تُكَابِرُ

عُدْتَ ضِلْعًا وَجَدِيلَةً

ذَابِلَ الْقَلْبِ صَاغِرُ

لَا تُكَابِرُ

عُدَّتْ أَوْراقَ الخَرِيفِ
سَاكِناً عَتَمَ المَغَاوِرُ
لا تُكَايِرُ

تِلْكَ أَشْلاؤُكَ فِي نَهْدِ عَرُوسَتِي أَساوِرُ
فَوْقَ ماضِيكَ دَوَائِرُ
عُدَّتْ ضِلَعاً وَجَدِيلَةً
لا تُكَايِرُ

١٩٨٨/٥/٤

ديوان دورة تشرين

صدر عن مطبعة كنعان، إربد - الأردن سنة

١٩٩٨

الحَضَارَة

نَصَبُوا لِلْمَوْتِ فَنَحَا
وَتَهَادَى الْجَمْعُ فِيهِ
يَا تَعَاوَيْدَ الْمَحَبَّةِ
فِي بُحُورِ الدَّمِّ تِيهِي
مُنْذُ أَنْ كَانَتْ حَضَارَةً

صَنَعَ الحوتُ تَمائيلَ الحِجَارَةِ

قالَ للسردينِ: اركعْ للمعاني

قالَ للسردينِ: اسجدْ للمعاني

سَفَسَطَ المَوْتَ حَيَاةً

واعْتَلَى عَرشَ الجِدارَةِ

فإذا بالعرشِ من جُمجُمَتِي صاغَ جِدارَهُ

أَيُّها الحوتُ تَغَدِّي

إننا بينَ أطباقِ الصِّدارَةِ

١٩٩٠/٤/٢

الصيف الأصفر

كَأَنْتَ يَا بُوذا
مِنْ طَاقَةِ كَهْفِي
تُشْرِقُ أَحْلَامُ خِلاصِي
حَوْلِي كُلُّ البُسْطَاءِ جِياعٌ
يَنْتَظِرُونَ
وَعَلَى أَوْجِهِمْ

مَشْهَدٌ شَوْقٍ مَجْنُونٌ

قَامَاتٌ نَاحِلَةٌ وَعُيُونٌ

وَشَهَابُ الدِّينِ المَقْتُولُ يُبَعِثِرُ أَوْرَاقَهُ

مَا عَادَ يُصَدِّقُ شَيْئاً

حَتَّى إِشْرَاقَهُ

وَصِغَارٌ زَرَعُوا الخِنَجَرَ فِي ظَهْرِهِ

مَا زَالُوا غَرِبَانًا نَعَّاقَةً

تَزْدَادُ صَفَاقَةً

* * *

كَانَتْ يَا بُوذا

تُؤَنِّسُنِي فِكْرَةَ

وَارْتَحَلْتُ عَنِّي

وَعْيُونِي تَبَعَتْ دَرَبًا مِنْ غَيْرِ نَهَايَةٍ

غَايَةً بُوْسِي أَنِّي

لَبِثْتُ فِي عَيْنِي دَمْعَةً

وَارْتَفَعَتْ رَايَةً

العُشْبُ الْيَابِسُ أَقْبَى

وَالرَّاعِي حَطَّمَ نَايَةً

وَعُبَارُ الصَّيْفِ الْأَصْفَرُ

يَقْتَحِمُ الْعَالَمَ حَوْلِي

يَلْسَعُنِي كَالنَّحْلِ

لَا شَيْءَ سِوَى شَمْسٍ حَارِقَةٍ

وَوِظَالٍ خَرَقَاءَ

اللونُ الْأَصْفَرُ فِيهَا

مِنْ صُلْبِ الْأَشْيَاءِ
وَاحْتُنَا جَفَّتْ
وَبَقِينَا نَبْحَتْ فِي الْأَرْجَاءِ
عَنْ قَطْرَةِ مَاءٍ
مَاذَا نَفْعَلُ يَا بُوَذَا فِي هَذَا الصَّحْرَاءِ

* * *

وَاحِدُودَ بَ هَمِّي فَوْقِي
يَقْصِفُ كَالْبَرْقِ
تِلْكَ الْعُزَّى تَعْشُقُنِي صَنَمًا
أَوْ تَحْرِمُنِي عِشْقِي
هَذَا اللَّاتُ تُزَيِّنُ لِي جَوْعِي
أَوْ تَرْمِينِي بِالْفِسْقِ

هذي الأصنامُ أنا خُبِزْتُها

إِنَّ أَحْكَى

تَحَاوَرُ فِي شَنْقِي

تُنْكَرُنِي

وَتَعِيشُ عَلَي خَلْقِي

تُبْقِينِي أَمْ لَا تُبْقِي

سَأَكُونُ أَنَا حَتْمًا

إِنْسَانًا لَا صَنَمًا

حَتَّى لَوْ شَقَّوْا حَلْقِي

قَلْبِي يَتَضَوَّرُ جُوعًا

وَالسُّوقُ تَبِيعُ هُمُومًا

والكون يُشيعُ سموماً

ثَكَلْتَنِي أُمِّي

لَا أَعْرِفُ أَنِّي فِي عَصْرِ كَسَادٍ

يَتَطَيَّرُ مِنِّي رَبِّي

فَأَصِيرُ رَمَادٍ

* * *

ماذا يَبْقَى يا بوذا

إِنْ عُرِضَتْ أَحْلَامِي فِي ثَوْبِ حَدَادٍ

فِي سَوْقِ سَعَّرَهَا الْأَوْغَادُ

ماذا يَبْقَى

إِنْ حَبَسُونِي فِي كَأْسِ زُجَاجٍ

أَتَفَرِّجُ دَوْمًا

وَأَصْفَقُ لَابْنَ جَلَا

وَأَغْنِي لِلحَجَّاجِ

* * *

يَا طِفْلاً يَحْلُمُ بِالنُّخْبِزِ وَبِالسُّكَّرِ

وَالعَالَمِ مِنْ حَوْلِكَ يَسْكُرُ

تَلْعَبُ "بَيْتَ بُيُوتٍ"

وَتَرَى كُلَّ الأَحْلَامِ تَمُوتُ

تَبْحَثُ عَنْ لُقْمَتِكَ الحَمْرَاءِ

فِي تَارِيخِ العُظْمَاءِ

فِي كُتُبِ الفُقَهَاءِ

وَأَبُوكَ الكَادِحُ

يَخْبِزُ أَيَّاماً سَوْدَاءِ

يا وُلدي

العالمُ يغرقُ في دَمْعِ الفُقراءِ

قُلْ لأبيكَ القابِجِ في بحرِ الحَسراتِ

كفِكَفِ دَمَعَكَ يا أبتِ

واحمِلِ سَيْفَكَ يا أبتِ

ولنتَجَلِّ فوقَ النَكباتِ

جاءكَ بوذا يَحْمِلُ فأسَهُ

ويَصِرُ على أنْ يَخْلَعَ نَفْسَهُ

يَحْمِلُ مَنجَلَهُ وَينادي الحَصَّادينَ

الْكُلُّ سَواءُ

إِلا مَنْ يَفْقِدُ حِيسَهُ

قال الراوي

ما زال القلبُ جريحاً
يتوسدُ أذرعَ شمْطاء
يرسلُ وجداً كفحيح الأفعى
يشتاقُ
وتزجره الأشياءُ
نصف نارٍ

نِصْفُ مَاءٍ

وَعَلَى قَارِعَةِ الدَّرْبِ المَاطِرِ

وَحَدِي تَسْتَنْزِفُنِي الحُمَّى

يَتَكَوَّمُ فَوْقَ جُرُوحِي

هَذَا السَّاكِبُ فِي خَمْرِي سَمًّا

أُسْرِفُ غَوْضًا فِي ذَاكِرَةِ الأَيَّامِ الأُولَى

أَتَمَثَّلُهَا حُلْمًا

* * *

كُنَّا نَسْتَلْقِي فِي الظُّهْرِ الأَحْمَرَ

نَبْنِي مِنْ حَجَرَاتِ الجَبَلِ الحَدْبَاءِ

قُصُورًا صَمًّا

نَتَوَحَّدُ فِي وَسَخِ الأَرْضِ

وَنَتْلُوا آيَاتِ الْخَوْفِ
لَنَا تَأْكُلْنَا الْغَوْلَةَ ظُلْمًا
يَأْخُذْنَا هَذِيانُ الْعُمْرِ
وَيَنْزِلُ الْمَشْدُودُ إِلَى أَعْمِدَةِ الدَّهْرِ
وَأَذْكُرُنِي أَمْضِي
حَتَّى مَزَقَنِي شَيْءٌ مِمَّا

أَعْجَبَنِي يَوْمًا عَزْفُ الْقِيثَارَةِ
كَسَّرْتُ النَّايَ
وَأَرْسَلْتُ جَنَاحِي لِلرِّيحِ
أَجْهَشَ خَفِقُ الْقَلْبِ بِأَغْصَانِ الْأَشْجَارِ
وَبالدَّخُونِ الشَّاحِبِ وَالشَّيْحِ

يَوْمًا

أَيْقَظَنِي حَادِي الرَّكْبِ

وَقَدْ عَشَرْتُ بِي قَافِلَةً

تَرَحَّلُ مِنْ غَدِهَا لِلْأَمْسِ

يَا هَذَا

أَيْنَ جِمَالِكَ وَالزَّادُ

وَكَيْفَ تَضُمُّ مَسِيرَكَ فِي صَوْبَيْنِ

كُنْتُ قَدْ اسْتَأْصَلْتُ الْجَسَدَ الْمُرَّ

وَحَطَّ عَلَى الْقَلْبِ غُرَابُ الْبَيْنِ

وَسَمِعْتُ أَنْيْنَ النَّايِ

فَمَضَى نِصْفِي فِي الدَّرْبِ

وَنِصْفِي الْآخِرُ

أَغْرَقَ فِي دَمْعَةٍ عَيْنَ

لَا تَرْجِعُ يَا هَذَا

سَقَطَ الْمَشْدُودُونَ إِلَى ظَهْرِ جَوَادِ

مَاتَ سَعِيدٌ مَقْتُولًا

أَحْمَدُ أَغْرَقَهُ الْأَوْغَادُ

حَمَلَقَ فِي الْأَفْقِ طَوِيلًا

كَانَ مَعَ الرَّبِّ الْعَاشِقِ لِلنَّاسِ عَلَى مِيعَادِ

يَحْمِلُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى سَوْسَنَةً نَدَّاهَا الصُّبْحُ

وَفِي الْيُسْرَى يَحْمِلُ رَأْسَ الْجَلَّادِ

لَكِنَّ النَّاسَ انْتظَرُوهُ عَلَى آخِرِ قَطْرَةِ خَمْرِ

وَجَنِينُ الْحُلْمِ يُنَاغِي الْمِيلَادِ

صَلَبُوهُ عَلَى خَشَبِ الْغَافِي عِنْدَ (الباطية)^١

يَصْنَعُ مِنْ أَدْمُعِهِمْ خَمْرَ الْأَعْيَادِ

يَا وَلَدِي

خَلَّ الْأَيَّامَ تُذِيقُ الْكَلْبَ مَرَارَتَهَا

فَلَعَلَّ نُبَاحَ الْكَلْبِ يَكُونُ بِوَجْهِ الْأَوْغَادِ

غَمَّ عَلَيَّ الصَّوْتُ الْقَادِمُ

مِنْ ثَكَنَاتِ الزَّمَنِ الْمَاضِي

وَالْغَثَيَانُ الْأَسْوَدُ أَجْهَضَ أَفْكَارِي الْحُبْلَى

وَانْتَصَبَتْ قُدَّامِي أَشْبَاهُ الْخَلْقِ

تَجَرَّدُ فِي وَجْهِي نَصْلاً

وَاسْتَيْقَظَ فِي أَنْفِي طَعْمُ الْمَوْتِ

^١ الباطية: كلمة مستعارة من اللهجة العامية، تعني وعاء كبيراً، وقد قصد به وعاء الخمر.

وَلَذَّةٌ سَكِّينٍ أَغْرَسُهَا فِي جَوْفِ الْفِكْرَةِ

صَدَقْتُ كَثِيرًا

لَكِنِّي الْيَوْمَ أَوْقَعُ أَنَّ الْبُؤْسَ الْمُقْرِفَ لَا يَلِدُ الثَّوْرَةَ

وَالْيَوْمَ أَنَا فِي وَسْطِ الصَّحْرَاءِ

يَعْرِفُنِي مَنْ يَجْمَعُ سُحْبَ الصَّيْفِ بِقَنِينِهِ

عَيْنٌ فِي ظَهْرِي

عَيْنٌ فِي صَدْرِي

لَكِنَّ أَنْسَاءَ أَكْثَرِ مَنْ رَمَلَ الصَّحْرَاءِ

أَحَدٌ مِنْهُمْ لَا يَدْرِي

١٩٩٣/١٠/١٣

أُغْنِيَةٌ لِلْيَأْسِ

توسِّعُنِي أَيَّامِي لَطْمًا وَعَوِيلاً

لو تَبَقِيَ لِي سَاعَةٌ وَجَدِّ

أَتَنهَدُ مِلءَ الدَّارِ

أُبِيحُ لِنَفْسِي طَرَقَ البَابِ عَلَى نَفْسِي

حَتَّى يَتَأَكَّلَ إِصْرَارِي

السَّيْرُ إِلَيْكَ بَعِيدٌ وَأَنَا أَلْتَهُمُ السَّاعَاتِ

وَأَسْتَشْعِرُ فِي صَدْرِي صَخْبًا وَضَجِيحًا

وَكَأَنَّ الْآلِهَةَ انْتَحَرَتْ

فَاجْتَمَعَتْ أَنْوَارُ الْكَوْنِ الْأَزَلِيَّةُ قُدَّامَ الْفُوهِةِ السَّودَاءِ

وَسِرْتُ أَنَا وَحْدِي مَجْذُوبًا نَحْوَ الْبُورَةِ

أَسْتَوْحِشُ لَا أَسْمَعُ غَيْرَ نَشِيجِي وَبُكَائِي

يَنْهَرُنِي أَجْلَفُ مَخْلُوقَاتِ الْأَرْضِ

فَأَصْمِتُ وَحْدِي، وَأَلُوكُ الْكَلِهَاتِ

الْقَابِعُ خَلْفَ حُدُودِ الصَّمْتِ صَدِيقِي مَاتَ

* * *

لَوْ تَبَقِيَ لِي سَاعَةٌ وَجَدِ

أَتَقِيًّا مِلءَ الْكَوْنِ

وَأُخْرِجُ مِنْ صَدْرِي غِلًّا لَا يَنْضَبُ

حَتَّى لَوْ زَرَعُوا فِي صَدْرِي نَخْلَةً

لَا يَرَحُلُ عَنِّي وَجَعُ الْأَيَّامِ

وَلَا أَسْتَوِطِنُ فِي كَبِدِ الشَّمْسِ

وَلَا أَسْتَبْقِي لِي مِنْ تَعْبِي سَاعَةً صَمْتٍ

وَطُمَأْنِينَةٍ

أَتَنهَدُ مِلءَ الدَّارِ

أُخَبِّئُ جُرْحِي دَاخِلَ قِنِينَةٍ

لَوْ تَبْقِي لِي سَاعَةً وَجَدٍ

أَتَقِيًّا مِلءَ الْكَوْنِ

أَفِيضْ عَلَي حَارَتِنَا الْأُولَى ذَاكِرَةً أَقْوَى مِنْ جَرِيَانِ النَّهْرِ،

وَتَهْوِيمِ الْحَشْرَاتِ عَلَي صَحْنِ الْحَلْوَى

أَعْرِفُ... جَرَدَنِي رَبِّي

لَكِنِّي أَصْنَعُ سَيْفًا لَا يَجْرَحُ لَحْمَ النَّاسِ

وَلَكِنْ يَعْزِفُ أُغْنِيَةً تَسْتَنْزِفُ مَاءَ الْوَجْهِ الْبَاقِي فِي آخِرِ عِرْقِ
دَمٍ لَمْ يَجْعَلَهُ الرَّبُّ قِيودًا

أَعْرِفُ أَنِّي فِي الْحَالِ أَنَا أَغْدُو لَا شَيْءٌ إِذَا مَا أَوْقَفْتُ غِنَائِي،

وَلِذَا يَتَمَزَّقُ صَوْتِي فِي سِرْدَابِ الصَّمْتِ

وَمَعْمَعَةِ الْكَلِمَاتِ

لَا أَتَوَكَّأُ أَبَدًا فَوْقَ رَغِيفِ الْخُبْزِ

وَلَكِنِّي أَحْيَا فِي أَرْضِ مَوَاتٍ

أَسْمَعُنِي يَا هَذَا الْوَعْدُ الْأَبْعَدُ مِنْ بَسْمَةِ شَفَةِ صَادِقَةٍ فِي زَمَنِ

الزَّفْتِ الْأَسْوَدِ وَالْكَذِبِ الدَّاكِنِ

لَوْ تَبَقِي لِي سَاعَةٌ وَجَدِ اسْتَرْخِي

فَوْقَ غُثَاءِ الْعُمُرِ وَأَبْعَثُ فِيهِ

بَعْضَ حَيَاةٍ

وَأَنَا اللَّحْظَةَ لَا شَيْءَ

وَلَا حَتَّى صَوْتٌ ذَابَ

وَلَمْ يَبْقِ سِوَى رَجْعٍ

يَتَرَاكُصُ قُدَّامَ قُبُورِ الشُّوَارِ وَلَا قُدَّامَ الْهَمِّ وَلَا قُدَّامَ

التُّرَهَاتِ

أَسْتَوْحِي فِي مَرِّ الْأَيَّامِ جُنُونِي أَنْ يَحْيَا

وَيُقِيمَ الْأَمْوَاتِ

لَوْ تَبْقَى لِي سَاعَةٌ وَجَدِ

أَتْنَهْدُ مِلءَ الدَّارِ

أَوْسُوسُ

حَتَّى أَجْمَعَ كُلَّ شَيَاطِينِ الْأَرْضِ

عَلَى شُعْلَةٍ نَارِي

وَأَوْقِدُ مِنْ هَمِّي قِنْدِيلاً شَتَوِيًّا

أَسْتَظْهِرُ مِنْهُ طَرِيقَ الْأَصْبَعِ عَبْرَ الْمَزْمَارِ

وَرَجْرَجَةَ الْكَأْسِ عَلَى شَفَةِ تُقْرُونِي أَخْبَارِي

يَسْتَوْحِشُ هَذَا الْقَابِعُ فِي كَبْدِي

وَيَمُوجُ الصَّوْتُ

وَيَكْبُرُ

حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بَعْضَ الزُّوَارِ

حَبِيبَةُ

إِنِّي أَعْرِفُ مَا آلَ إِلَيْهِ الدَّمْعُ

الْمَغْرُورِقُ فِي عَيْنِي

والعَفْرِيتُ المَحْبُوسُ عَلَى بَوَابِ دَارِي

* * *

لَوْ تَبَقِيَ لِي سَاعَةٌ وَجَدِ

أَتَقِيًّا مِلءَ الكَوْنِ

أُبِيحُ مِنَ الحُرْمَاتِ المَجْنُونَةِ

مَا يُورِقُ أَغْصَانِ العُمْرِ

وَأُخْرِجُ مِنَ جَوْفِي كَوْمَةَ جَمْرِ

وَأُحَلِّقُ،

لَا يَسْتُرُنِي إِلَّا ظِلُّ الأَشْيَاءِ

لَوْ تَبَقِيَ لِي سَاعَةٌ وَجَدِ

أَتْنَهَّدُ مِلءَ الدَارِ

وَأَسْتَوْدِعُ خَيْطَ الأَمَلِ البَاقِي

أَحْضَانُ الْعُشَّاقِ الْمُرْتَحِلِينَ عَلَى أَبْوَابِ

الدُّنْيَا الْمَاهُولَةِ بِالْخَوْفِ وَبِالْمَأْسَاءِ

وَأَنَا أَدْرِي

هَذَا النَّهْرُ الْآسِنُ مِنْ أَلْفِ

مَا غَيْرَ مَجْرَاهُ

لَا بُدَّ سَأْنَعِطُ الْآنَ إِلَى الدَّرْبِ الْمَوْحِلِ

كَيْ أَنْصُرَ صَوْتَ اللَّهِ

٩٤/٢/١٧-٩٣/٢/٥

أيدون/اريد

دورة تشرين

بالأمس رتقتُ ثيابي

تشرينُ الباردُ أثلجَ ما كانَ دفيئاً في آبِ

وبيوتُ النملِ اختبأتُ

وبقينا نلهثُ خلفَ سرابِ

تلسعنا نسماتُ البردِ

ونحبو في الوحلِ كما الأفعى

نَبْتاعُ تُراباً بِتُرابِ
" اتَّقِ شَرَّ البَرْدِ بِدِينارِينِ
وَتَزوَدُ بِسَرايِلِ الأُغرابِ
في هذا ثُقبٌ تَحْتَ الكَتِفِ الأيْمَنِ
أما ذاكَ فَزَوِدُهُ بِسَحَابِ
وَتَنازِلُ عَن كِبْرِكَ يا هذا
فَلَقَدَ جِئْتَ بِلا أنيابِ "

ضَوْضاءُ السُوقِ مُروَعَةٌ
وَضواريها
سَرَقوا أَسِيايَ وَحِرابي
أَعزَلُ في مَعرَكَةٍ دائِمَةٍ

يَنْعَقُ فِيهَا أَلْفُ غُرَابٍ

وَنَسِيمِكَ يَا تَشْرِينَ شِرَاعٍ

مَزَقْنِي بَيْنَ ذَهَابٍ وَإِيَابٍ

تَشْرِينَ

أَتَيْتَ وَمَا فِي الْجُعْبَةِ سَهْمٌ

وَالْتَعْوِذَةُ يَنْشِدُهَا صَوْتُ مُرَابِي

وَمَجَانِينُ الْفَاقَةِ أَسْكَرَهُمْ

فِي لَيْلِ الْبُؤْسِ نُبَاحُ كِلَابٍ

تَشْرِينَ

إِذَا عُدْتَ تَعَالَ دَفِينًا

فَالْمَوْقِدُ مَكْسُورٌ فِي سِرْدَابِي

وَجِيُوشُ الْكُفْرِ مُخْبِأَةٌ عِنْدَكَ

بِأَلْفِ حِجَابٍ وَحِجَابٍ

* * *

تَشْرِينُ، أَنَا أَعْرِفُ
لِلْعَمْرِ نَوَافِذُ مُغْلَقَةٌ
وَذِئَابٌ وَقِفَةٌ فِي الْبَابِ
وَأَخَافُ إِذَا مَا أَشْرَقَ فَجْرِي
أَنْ يُنْذَرَ لِلْمَوْتِ شَبَابِي
لِلظُّلْمِ سِوْفٌ مُشْرَعَةٌ
وَمَعَاوِلُ هَدْمٍ وَخَرَابِ
وَجُنُودٌ أَكْثَرُ مِنْ رَمْلِ الصَّحْرَاءِ
يَسِيرُونَ عَلَى هَدْيِ كَذَابِ
تَشْرِينُ وَفِي رَأْسِي شَيْبٌ

وَعَلَى كَتَفِي كَوْمِ رِقَابِ

* * *

تَشْرِينُ وَأَعْرِفُ

فِي دَوْرَتِكَ الْأُولَى

كُلُّ أَزَاهِيرِ الْأَرْضِ انْتظَرَتَكَ

وَكُلُّ بُدُورِ الْأَشْجَارِ

قَطَرَاتُ الْمَاءِ الْأُولَى

كَانَتْ أَنْشُودَةَ عِشْقِي

رَدَدَهَا الْأَطْفَالَ وَطَارُوا

مِثْلَ فَرَاشَاتٍ أَيْقَظَهَا دِفْءُ الضَّوِّءِ

وَتَهْلِيلُ الْأَسْحَارِ

كَانَ هَدِيرُ مَزَارِيْبِ اللَّيْلِ عَلَى سَمْعِ الدُّنْيَا

أَحْلَى مِنْ عَزْفِ الْقِيثَارِ

تَشْرِينُ

وَكُنْتَ رَسُولًا لِلْفَجْرِ

وَكُنْتَ الْفَاصِلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ

لَكِنَّ الزَّمَانَ الْآتِيَّ غَيَّرَ وَجْهَ الدُّنْيَا

غَرِقَتْ سُفُنُ الْعِشْقِ

وَمَاتَ إِلَهُ الْحُبِّ

وَزَهَرَتْكَ الْأُولَى ذُبُلَتْ فِي غَابَةِ صَبَّارِ

وَالْعَازِفُ عَادَ إِلَى عَالَمِهِ السُّفْلِيِّ

وَمَا أَبْقَى غَيْرَ صَفِيرِ الصَّحْرَاءِ

تَشْرِينُ إِذَا عَدْتَ تَعَالَ دَفِيئًا

فَالْبَرْدُ نَصِيبُ الْفُقَرَاءِ

الصَّخْرَةُ

يا هذا المَذْبُوحُ على صَخْرَةٍ عَصْرُهُ

يَحْمِلُهَا

تَحْمِلُهُ

وَتَنَامُ على صَدْرِهِ

تَتَضَاهَكُ كُلُّ الدُّنْيَا مِنْ صَبْرِهِ

لَنْ يُرْسِلَ ذَاكَ الْعَافِي عِنْدَ (الْبَاطِيَّةِ) ^١ مِنْ أَجْلِكَ يُنْبِوعَا

لَنْ يُرْجِعَكَ الْيَوْمَ إِلَى حَلَمَاتِ الْبُؤْسِ لِتَرْضَعَ أَحْزَانًا

حَتَّى لَوْ شِئْتَ رُجُوعَا

ضَرَبَ النَّسْجُ عَلَيْكَ

وَعَمَّرَكَ أَلْفًا

لَا تَذْكُرُ مِنْهَا أُسْبُوعَا

يَشْرَبُ مِنْ دَمِكَ الرَّاحِلُ عَنْ أَرْضِ الْجَمَلِ الْمُرَّةِ

وَالْآتِي يَخْبِزُ مِنْ عَيْنِكَ ثِيَابَ الْعُرْسِ

وَتَبْقَى وَحْدَكَ مَوْجُوعَا

السَّاعَةَ عَرِّضْ وَجْهَكَ لِلرِّيحِ الْعَافِي

وَتَأْبُطُ شَرًّا

^١ الباطية: كلمة مستعارة من اللهجة العامية، تعني وعاء كبيراً، وقد قصد به وعاء الخمر.

مَنْ قَالَ بِأَنَّ الشَّرَّ كَرِيهٌ

يَرْتَكِبُ الشَّرَّ

١٩٩١/٧/٨

قَمَرٌ مِّنْ عِشْتَارِ

بِالْأَمْسِ

انْعَطَفْتُ عِشْتَارُ عَلَيَّ خَاصِرَةَ الشَّمْسِ

فَارْتَعَشْتُ أَطْرَافِي

وَتَجَمَدَ رَأْسِي

أَهْدَتْنِي قَمَرًا بَرِيًّا

مُلْتَهَبًا كَالدَّمْعَةِ

وَاشْتَعَلَّتْ قُدَّامَ عُيُونِي شَمْعُهُ

وَأَنْقَشَعَتْ مِثْلَ سَحَابِهِ

* * *

لِكِنِّي يَا قَمْرِي

نَذَرْتَنِي أُمِّي مُذْ كُنْتُ صَغِيرًا

أُضْحِيَّةً لِلْعِيدِ

فَأَسْبَلْتُ جُنُوفِي

وَتَرَاحَيْتُ إِلَى أَنْ وَضَعُوا السَّيْفَ عَلَى حَدِّي

بَتَرُوا لِي قَائِمَتِي

فَتَوَكَّأْتُ عَلَى عِكَازَةِ جَدِّي

رَفَعُوا عَنِّي السَّيْفَ قَلِيلًا

لِكِنِّي أَوْرَثْتُ الْبُؤْسَ لِمَنْ بَعْدِي

وَأَتَيْتُ حَدِيقَةَ قَرِيَّتِنَا

مَشْحُونًا بِالْحُبِّ وَبِالْوَجْدِ

أَتَطَّلَعُ أَنْ أُرْوِيَ رَوْحِي

مِنْ عَشْقِ الْوَرْدِ

أَمْسَكْنِي الْحُرَّاسُ

رَمُونِي فِي قَفْصِ الْقِرْدِ

هِيَا تَأَعُودُ

وَقَدْ سَلَخُوا جِلْدِي

* * *

يَا لَيْلُ اغْنِيْ وَأَنَا الْمَلْهُوفُ عَلَى بَابِكَ

فَتَغْنِيْ بِشَبَابِي، أَتَغْنِيْ بِشَبَابِكَ

يَا لَيْلُ أَنَا هَذَا الزَّهْرُ تَفَتَّحَ فِي أَحْضَانِكَ

إِمَّا أَنْ تَغْمُرَنِي دِفْئًا

أَوْ تَنْشُرُنِي عِطْرًا

أَوْ أَرْحَلَ عَن طُغْيَانِكَ

يَا لَيْلُ أَنَا فِي الْعُرْبَةِ وَحْدِي

أَجْتَرُّهُمُومِي

وَأَسَافِرُ فِي الْعَتَمِ وَفِي الْبَرْدِ

مَنْ يَا لَيْلُ سَيَجْمَعُ لِي أَوْرَاقِي

وَشَتَاتِ الْعُمْرِ الْبَاقِي

وَيُشْفِعُ الدَّفءَ عَلَيَّ أَحْدَاقِي

فَأَنَا

لَمْ أَتَّبِعْ قَافِلَةَ الْكَذَابِينِ

وَلَكِنِّي

أَسْمَعُ جَعَجَعَةً وَصَفِيرًا

أَعْلَى مِنْ صَوْتِ الْبَرْقِ

وأهدا من أشواقي

* * *

هذا الجوعُ العابثُ في روجي

ما جاء من الأفقِ

وجثا فوق جروحي

بل أرسلني ربي عبرَ الطوفانِ لأنقذَ نوحاً

فَنَجَّتْ حَيَاتُ اللَّهِ

وهوت في بحرِ الظلماتِ صروحي

حرقَ الحيتانُ مزاميري

وضعوا في ثلاثتهم كُلاًّ عَصافيري

أنى لي بيتٌ يجمعني

فَأُوجِهُ هَذَا الْوَيْلُ
أَنْي لِي عِشْقٌ يُحْرِقُنِي
فَأُضِيءُ سَوَادَ اللَّيْلِ

* * *

يَا لَيْلُ
أَنَا إِغْفَاءَةٌ آلِهَةِ الْحُبِّ عَلَى
مَادِبَةِ الزَّمَنِ الْمُتَخَمِّمِ بِالْأَشْكَالِ الْجَوْفَاءِ
لَمْ أَتَّبِعْ قَافِلَةَ الْكَذَّابِينَ
وَلَكِنِّي أَسْمَعُ جَعَجَعَةَ الْأَشْيَاءِ
وَأُرَاقِبُ خِزْيَ الْكَلِمَاتِ
عَلَى أَلْسِنَةِ شَوْهَاءِ

* * *

قَمْرِي يَتَوَسَّدُ تَارِيخًا مَنَسِيًّا يَا عِشْتَارُ

وَأَنَا بَيْنَ اللَّذَّةِ وَالشُّوقِ سِتَارُ

يَأْتِي مِنِ وِجَعِي صَوْتُ الْأَشْيَاءِ الْحُبْلَى

وَجُنُونُ الْأَفْكَارُ

وَعَزَائِي أَنِّي لَمْ أَتَوَقَّفْ يَوْمًا فِي قَائِمَةِ النُّظَارُ

يَا لَيْلُ

أَنَا بُوْرَةٌ عِشَقٍ فِي صَفْحَةِ تَارِيخِ سِوْدَاءِ

إِمَّا أَنْ تَغْمُرَنِي دِفْنًا

أَوْ تَنْشُرَنِي عِطْرًا

أَوْ تَمْضِي

لِلْحَارِبِ فِي زَمَنِ الْخُلَعَاءِ

لَعْنَةُ هَابِيلَ

عَبَرَاتُ اللَّيْلِ الْعَمِيَاءُ

سَرَقَتْ مِنْ عَبْرَاتِي

آهَةٌ حُزْنٍ وَحَشِيَّةٌ

غُرِسَتْ فِي ذَاتِي

وَاخْتَرَقَتْ لَيْلِي الْأَسْوَدَ

كَشَهَابٍ أَمْرَدٍ

يَتَحَدَّى دَرَبَ التَّبَانَةِ

وَيَمْدُ لِسَانَهُ

يَتَبَدَّدُ فِي الْأَفْقِ الْمُظْلَمِ

وَشُعَاعُ النُّورِ الْفَاتِنِ

أَنْسَاهُ

وَلَكِنْ

يَبْقَى أَبَدًا فِي قَلْبِي

يَزْجُرُهُ اللَّيْلُ فَيَحْيَا

وَيَدُقُّ أُنَيْنَ الْحَرْبِ

نَيْرَانًا فِي دَرْبِي

لِيلَايَ أَنَا مَاتَتْ

وَأُغْنِي لِلْحُبِّ

لا أَعْرِفُ مَنْ كَانَتْ
وَمَلَامِحُهَا
أَشْبَاحٌ تُغْرِقُنِي
فِي قَامَةِ لَيْلٍ صَامِتٍ
فِي بَحْرِ الْغُرْبَةِ
وَأَخَافُ
أَخَافُ عَلَى نَفْسِي
مِنْ شَبَحِ الْيَأْسِ
إِنَّ كُنْتُ أَنَا نَارًا
فَلِمَاذَا يُحْرِقُنِي بُؤْسِي
وَلِمَاذَا تَجْتَازُ فُؤَادِي
أَطْفَارُ الْجِنِّ الْأَزْرَقِ

وَيَحُطُّ التَّيْنُ عَلَى صَدْرِي

غَدْرًا لِلغَدْرِ

حَتَّى أَغْرَقَ

وَيَمْدُ رُؤُوسًا أَلْفًا

فِي عُمُقِ الْأَحْلَامِ الْوَرْدِيَّةِ

يُحْرِقُهَا حُلْمًا حُلْمًا

تَمَثَالُ الْهَمْجِيَّةِ

* * *

إِنْ كُنْتُ أَنَا نَارًا

فَلِهَذَا يُحْرِقُنِي بُؤْسِي

وَيَصُبُّ عَلَيَّ كَأْسِي سُمَّا

رِحْلَتُنَا كَانَتْ بِالْأَمْسِ

تُشْرِقُ كَالشَّمْسِ عَلَيْنَا

وَاليَوْمَ تَغِيبُ

وَتَضِيعُ مَعَالِمُ قِصَّتِنَا

تُصْبِحُ بَاهِتَةً

مِنْ غَيْرِ خُطُوطٍ

* * *

ها بيل صديقي

يَسْكُنُ بَيْنَ جِرَاحِهِ

الصَّمْتِ يُعَذِّبُهُ

يَتَمَنَّى أَنْ يَحْكِيَ شَيْئاً

لَكِنْ

مَنْ يَسْمَعُهُ؟

هايل صديقي
مَحْكُومٌ بِالْإِعْدَامِ
رَشَقًا بِالْكَلِمَاتِ
يَتَرَنِّحُ كَيْ يَحْكِي
وَيُحَاوِلُ أَنْ يَبْكِي
حَتَّى مَاتَ

هايل صديقي
مَخْدُوعٌ وَحَزِينٌ
كَانَ يَرَى دُنْيَا غَيْرَ الدُّنْيَا
يَعْرِفُ أَنَّ الْقَمَرَ
قِطْعَةُ سُكَّرٍ

أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخَافُ الْعَسْكَرَ

أَنَّ اللَّيْلَ رَسُولٌ مَحَبَّةٍ

وَعَلَامَاتُ الْإِسْتِفْهَامِ

تَطْرَحُهُ أَرْضاً

كَيْفَ؟

لِمَاذَا؟

أَيْنَ؟

مَتَى؟؟؟

فَيَغْطُ الْكَأْسَ وَيَسْكُرُ

* * *

هَابِلُ صَدِيقِي

آخِرُ عُنُقُودٍ فِي يَدَيِ الْبَيْضَاءِ

صَارَ هَبَاءً مَنشُورًا

كُلَّ الْأَعْدَاءِ

سَجَدُوا حَمْدًا وَشُكْرًا

مَا أَطْوَلَ لَيْلَتَنَا يَا قَلْبِي

وَمَتَى بَدَأَتْ؟

فَأَنَا حَقًّا لَا أُدْرِي

آخِرُ أَشْرَعِي يَسْرِقُهَا الشَّيْطَانُ

وَأَنَا فِي الْبَحْرِ وَحِيدٌ

وَهَمُومِي

لَيْسَ لَهَا شُطَّانٌ

وَالْعَالَمُ مِنْ حَوْلِي مَحْزُونٌ وَمُضْطَبٌّ

وَتُحِيطُ بِهِ سَحْبٌ وَدُخَانٌ

أَبْحَثُ عَنْ دَرَبِي

تَتَزَايِدُ دَقَّاتُ الْقَلْبِ

وَأَمُوتُ

أَمُوتُ مِنَ الرَّعْبِ

الْبَحْرُ غَرِيقُ

وَأَنَا أَسْكُنُ قَلْبَهُ

أَجْنِحَةُ الْكُونِ تُصَفِّقُ فِي رَهْبِهِ

وَصَدِيقِي هَابِيلُ قَضَى نَحْبَهُ

هَيَّا نَرْكَبُ يَا أَحْزَانِي أَجْنِحَةَ الرِّدَّةِ

وَنَجُوبُ سَمَاءِ الدُّنْيَا

نَكْسِرُ أَسْيَافَ الْمُدَّةِ

مَجْنُونٌ مِّنْ يَحْفِرُ لِحَدِّهِ

مَجْنُونٌ مِّنْ يَحْفِرُ لِحَدِّهِ

ليلايَ أَنَا ماتتْ

ما عُدْتُ أُسِيرَ الحَاجَةِ

كَيِّ أَبْنِي قَصْرًا

لَنْ أَحْيَا بَعْدَهُ

فالنَّاسُ عَلَى شَفَةِ الأَيَّامِ انْتَشَرُوا

كَلِمَاتُ بِلْهَاءِ

وَقُلُوبُ بَكْمَاءِ

وَأَنَا

لَا أَعْرِفُ شَيْئًا

وَقُصَاصَاتِي

لا تَرَوِي ظَمَأَ السَّائِلِ

كَلِمَاتُ الدُّنْيَا

أُرْخَصَهَا عِنْدِي

تَرْقُدُ فِي الظِّلِّ المَائِلِ

وَلِذَا

أَقْسَمْتُ يَمِيناً

أَنَّ أَحْيَا تَحْتَ الشَّمْسِ

* * *

يَا هَابِيلُ أَفِقْ مِنْ غَفَلَتِكَ

أَكَلُوكَ وَلَمْ يَبْقَ سِوَى قِصَّتِكَ

فَأَنْشُرْهَا فِي الأَرْضِ تُورِقُ مَسْمَعُهُمْ

فِي كُلِّ اللَّحَظَاتِ لِتَلْعَنَهُمْ

واعرفُ

أَنَّ البَدْرَ جِبَالٌ جَرْدَاءُ

بَارِدَةٌ مَا ذَاقَتْ طَعْمَ السُّكَّرِ

واعرفُ

أَنَّ الشَّيْطَانَ

لَيْسَ يَخَافُ العَسْكَرَ

١٩٨٩/١١/١٥

ديوان الدربُ والحكايات

صدر عن دار الكرمل للنشر والتوزيع في عمان -

الأردن سنة ٢٠٠١

الأعمال الشعرية الكاملة حتى عام ٢٠١٨ علي طه النوباني

هذه أشيائي

نَسِيتُنِي فِي السَّفْحِ عَامًا
رَبَّمَا صُلِبَتْ طَلَاوَةٌ رُوحِي قُرْبَ الْبَنْفَسِجِ
رَبَّمَا

فَرَسِي الْجَمِيلَةَ شَاخَتْ
طُرُقَاتُهَا

طُوِيَتْ عَلَيَّ أَيَّامِي
وَعَضَّهَا فَكُّ التَّشَوُّقِ لِلرَّحِيلِ

وهذه أشيائي

جَبَلُ الْمَتَاعِ يَرْتَدِي شَجَرِي
مَرَاغِي عَوْدَتِي
وَيَهْشُمُ الْوَعْدَ الْقَدِيمَ
أَنَا الْوَحِيدُ عَلَى الشَّوْاطِئِ مُسْتَقِيمًا
مِثْلَ شَمْسِ الظَّهِيرَةِ
أَشْتَرِي الْأَفْقَ بِرُوحِي
كُلَّمَا نَضَبَ النَّهَارُ
وَأَنْتَهَي
وهذه أشيائي

بِنْتُ الْمَسَاءِ تَلْفُنِي
وَكَمَا السَّحَابَةُ أَمْتَطِي شَغْفِي الْبَرِيءِ
وَأُنْحِنِي
قُرْبَ الْبُحَيْرَةِ طَامِحًا

عَلَّ الْمِيَاهُ تُعِيرُنِي
حَرَكَيةَ التَّكْوِينِ
عَجْرَفَةَ التَّبَخُّرِ وَالتَّسَامِي
وَانْتِظَامِي فِي شُقُوقِ الْأَرْضِ كِي لَا يَنْهَمِي
وَجَعُ الْفُصُولِ عَلَي عِظَامِي
هَذِهِ أَشْيَائِي

وَعَلَى الْجِدَارِ مَشَانِقُ الْحَدَقِ الْمُسَافِرِ
كُلَّمَا نَبَتِ الْبِنْفَسُجُ
طَوَّقَتْنِي بِالْغُبَارِ خِيُولُهَا
تِلْكَ الْعَمَائِرُ
بِالزُّجَاجِ تَشْقُ رُوحِي
بِالصَّلَابَةِ
تَشْقُبُ الْحُلْمَ اللَّذِيذَ
وَبِالْمَدَاخِنِ تَمْضَعُ الْأَنْثَى
وِلَادَةً

ولادة

جِراؤها تَطْنُ في المَدَى

مَعاولُ للردَى

وَكَلِّمًا يُحَلِّقُ الدَّورِي

تُوقِفُهُ الشَّواخِصُ

ياقَةَ لِلْمَوْتِ

أُخْرَى لِلبَراوِيزِ الحَقِيرَةِ

وَلتَجفِّي يا سَواقِي

دائرة الزمن المسحور

(١)

يا أمسُ
أحبُّ أنا فيكَ
وتظَلُّ نَشيداً للبوَحِ
أناجيكُ
أناغيكُ

(٢)

كُنْتُ مَعِي
أَيْنَ ذَهَبْتَ
لِصَّ أَنْتَ
فَمَاذَا عَن مَاضِيكَ

(٣)

يَا أَمْسُ
تَرَكَتُ مَتَاعِي
وَوُجُودِي وَضِيَاعِي
بَحْثًا عَنكَ
وَكَدْتُ أَلِاقِيكَ

(٤)

أُذُنِي تَسْمَعُ هَمْسَ تُرَابِ الْأَرْضِ
وَلَكِنَّ الْفَوْضَى تُعْمِينِي
رُغْمَ النَّارِ

وَرَعْمٌ جُنُونِي
أَتَقْرَمُ قَدَامَ مَا سِيكَ

(٥)

يَا أَمْسُ
أَنَا مَا زِلْتُ هُنَا
أَتَلَصَّصُ
أَسْتَجِدِّي الإِدْرَاكَ
وَلَا أَعْرِفُ مِنْ لُغَتِي إِلاَّ حَرْفًا
أَتَكْوَرُ بَيْنَ ثَنَائِيهَا
"لماذا"

(٦)

الشَّبِقُ المَحْمُومُ يَمُوتُ
لماذا؟
وَصَرَاصِيرِ البُؤْسِ تُعَشِّشُ فِي الحُلْمِ
لماذا؟
وَيَضِيعُ الكُلُّ عَلَى أَبْوَابِ الأَمْسِ

لماذا؟

(٧)

يا أمْسُ

تعالِ أَحْطُ عَجِينِكَ فِي تَنُورِي

أَجْبِلُ وَجْهَكَ بِالنُّورِ

وَأَجْزُقَمِيصَ الأَيَّامِ

أُعْرِيهَا

لِتَكُونَ كَمَا أَهْوَى

دَائِرَةَ الزَّمَنِ الْمَسْحُورِ

الدَّرْبُ والحِكايات

هكذا

يَجْتَهِدُ الرَّبِيعُ لِكِي
يَسْرِقَ زَهْرَةً مِنْ غُيُومِ الشِّتَاءِ

هكذا

يَنْهَمِي مَاءٌ هَذَا السَّمَاءِ
يَنْكَفِي مَارِدُ الظُّلُمَاتِ عَلَي
صَهْوَةِ الرِّيحِ

وَبَعْدَ لَأَيِّ
يَلَامِسُ قَيْسٌ ضَفِيرَةَ لَيْلِي
يَمُدُّ الْخَطِي
صَوَّبَ وَادِي الْهَوَى
شَرَقَ وَادِي الْهَوَى
جَارِحًا قَامَةَ الرِّيحِ لِيَرْتَوِي
مِنْ عَبَقِ الْخُزَامِي وَقَدْ عَانَقَتْهَا الصَّبَاحَاتُ
وَأَذَعَنْتُ
تَحْتَ قَطْرِ النَّدَى

هَكَذَا تَسْتَحِمُّ الطَّرِيقُ إِذَا فَارَقَتْهَا الْحِكَايَاتُ
تَغْسِلُ شَعْرَهَا الْكَلْبَاتُ
تُزْفُ إِلَى شَهْرِيَارُ
تَرْقُصُ فِي حِمَاهَا الدُّمَى
وَسَرِيعًا
يَسِيرُ الْمَسَافِرُ صَوَّبَ النَّهَارُ

تَنكوي أَيها الدَّربُ بِوَجْهِكَ العَجَلاتُ
ويَحلو الضَّجيجُ إِذا كانَ نَبْضُ الحِياةِ
يَلْفُ الدِّيارُ

المربع والدائرة

أَسْكُنُ فِي مُرَبَّعٍ
وَحَبِيبَتِي
تَسْكُنُ مَرَكَزَ دَائِرَةٍ
وَأَنَا
مَلَّتُ مِنَ الزَّوَايَا
وَالخُطُوطِ المُسْتَقِيمَةِ
وَالدُّرُوبِ الحَائِرَةِ

الرَّحِيلَ

أُحِبُّ الرَّحِيلَ
وَأَخْشَى مِنَ الْخَطْوِ وَحْدِي
وَكَأْسِي أَرَاهَا
تَمُدُّ الدِّرَاعَ
وَتَبْكِي مِنَ الْحُزَنِ بَعْدِي

الغُرْفُ العُلْيَا

كُنْتُ عَلَى دَرْبِ اللَّيْلِ أَضَعْتُ طَرِيقِي
هَجَمْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ:
حَدِيدُ الشَّارِعِ
وَالْإِسْفَلِ
وَكُلُّ بَرَاغِيثِ الْقَرْيَةِ
لَمْ تَتَّسِعِ الْأَرْضُ لِضِيقِي
وَرَأَيْتُ دَهِي نَزَّ

وَلَمْ أَعْرِفِي
"صَاحِبَتِي كَانَتْ تَعْرِفُ
لَكِنَّ خَفَافِشَ اللَّيْلِ الْمَاضِي
فَقَاتَ عَيْنَيْهَا"
حَامِيَّةُ الْأَعْدَاءِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنِّي
وَصَدِيقِي كَانَ يُغْنِي:
"النَّجْمُ الْقَابِعُ فِي مَيْسَرَةِ الْجَيْشِ هَوَى"
مِنْ كُلِّ شَبَابِيكِ الْغُرْفِ الْعُلْيَا
رَقَصُوا
بَصَقُوا
ضَحِكُوا مِنِّي
أَلْقَيْتُ السَّيْفَ وَرَائِي
مَزَّقَتْ رِدَائِي
خَرَجُوا مِنْ جَوْفِي سَارُوا
"يَا رَبَّ الْفُقَرَاءِ
جِئْنَا وَخَرَجْنَا

البابُ إلى البابُ
لا صحبَ ولا أحابُ"
من كُليّ شبابيكِ الغُرفِ العليا
شتمَّ وسبابُ
ماذا نفعلُ والأرضُ خرابُ

كُرُويَتِي

كُرُويَتِي
يَوْمِي المَدَجُّجُ بالتَلَكُّؤُ
والصُّرَاخُ
وَسُرَادِقِي المَحْفُورُ فِي رَحِمِ التَّلَاقِي
واحتراقي
غَايَةُ الأَشْيَاءِ مِنْ خَوْضِ الحَيَاةِ

كُرْوَيْتِي
عَبَثِيَّةُ التَّحْدِيقِ فِي وَجْهِ الْمَسَاءِ
يَأْقُوتُ سَاقِيَتِي يُبَعِّرُهُ الْهَوَاءُ
وَدَمَائَةُ الْأَشْيَاءِ صَامِتَةً
بِلا ضَحِكٍ
أَوْ حَتَّى بُكَاءِ

كُرْوَيْتِي
عَظْفِي عَلَى الْأَمْوَاجِ مِنْ أَشْرِعَتِي
وَالرِّيحِ مِنْ أَسْئَلْتِي
وَتَفَرُّعِي عِبْرَ الْمَسَالِكِ
مِثْلَ أَبْحَرَةِ الْبَحَارِ

الأيدي

وتُلاقيني
عيناك تُراوحُ نحوَ جبيني
مرتفعاً ما زال، ولكنْ
أصواتُ المُستنقعِ تُؤذيني
ونعيقُ الغِربانِ ورائي
يضحكني،
ويؤسسيني

الأيدي فوق الأيدي في قبة نورٍ تحييني
قبس من نور الشمس يميت لهائي
لأفارق وجه الصنم الضاحك في قلب المأساة
مكتوب فوق جبين الثائر سطر
في الموت حياة

الذود إلى الذود إبل
والناس إلى الناس وطن
والأيدي حين تجمع قبضتها
يتفجر في لحظات الخوف زمن

يَدِي فِي النَّارِ

فِي رِئْتِي
عَاصِفَةٌ تَجْتَا حَيْنَ الْقَلْبِ
دَقَّاتٌ تَتَوَالَى عَالِيَةً
كَقَطَارٍ
يَتَصَارَعُ فِيهِ الْمَعْدَنُ
كَالْحَرْبِ

تُشْرِقُ شَمْسِي فِي ثَكَنَاتِ الحُلْمِ
وَلِقَاءَ اللُّقْمَةِ أَصْحُو
وَأَمْوئُ كَقِطِّ مَخْنُوقِ
وَيَدِي فِي النَّارِ

السَّنَوَاتُ رَحَلْنَ بَعِيدًا
وَالعُمُرُ غِبَارُ
وَعَيُونِي مَاتت فِي الحَبْرِ الأَسْوَدِ
وَالوَرَقِ الثَّرثَارُ
لِكِنِّي لَمْ أَتَقَنَّ فَنَّ الكَشْفِ
وَأَسَدَلْتُ عَلَي مَعْرِفَتِي فِي سَنَوَاتِ القَحْطِ دِثَارُ

لَا بَأْسَ
أَعُودُ إِلَى الصِّفْرِ
أُبَدِّلُ هَذَا الوَجْهَ المَحْمُومَ
وَأُعْرِضُ عَن كُلِّ الأَعْيَبِ فُضُولِي

أَدْفُنْ شَبَقِي فِي الْأَرْضِ الْمَكْرُوبَةِ
وَالزَّمَنِ الْعَارِي
وَتُسَافِرُ رُوحِي فِي لَيْلٍ
مِنْ غَيْرِ نَهَارٍ
وَإِذَا مَا زَيْنَ لِي شَيْطَانِي أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا
لَا شَكَّ سَأَذْكُرُ أَنَّ يَدِي
مَا زَالَتْ فِي النَّارِ

مَرْتَحِلٌ إِلَى الشَّمْسِ

تَسألُنِي

أَيْنَ شُمُوعِي؟

فِيمَ أَفَارِقُ سَوَسَنَةَ الْحَيِّ

وَأُنشِدُ شِعْرًا مَمزُوجًا بِدُمُوعِ؟

فِيمَ أَقَامِرُ فِي زَمَنِ يَتَهَادَى كَالْيَرْبُوعِ؟

حِيَاكَ اللَّهُ صَدِيقِي

يَا دَوْلَابَ الْقَهْرِ الْمُتَدَخِّرِ فَوْقَ ضُلُوعِي

لَمْ أَعْرِفْ أَنَّكَ طَبَقَ الْأَصْلِ كَمَا النَّاسِ
تُمَارِسُ رِحْلَتَكَ الْأُولَى
فِي ذُلِّ وَخُنُوعِ

وَتَنَامُ طَوِيلًا
مِلءَ الْعَيْنِ قَرِيرًا
تَحْلُمُ بِالْفَرَحِ الْآتِي
وَكَأَنَّكَ تَنْهَلُ مِنْ يَنْبُوعِ

صَاحِ أَنَا
أَسْتَنْطِقُ نَبْضَ السَّاعَةِ
أَسْتَفْتِي وَجَدَ الصُّوفِيِّ
أُغَامِرُ عَبْرَ فِضَائَاتِ الزَّمَنِ الْقَاتِمِ
أَسْتَوْحِي حَبْرَ الْأَجْدَادِ
فَيَقْتُلُنِي الْغَلُّ
الْمُرْتَحِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ مَدِينَتِنَا

ضَرَبُوا خِيَمًا سَوْدَاءَ
وَحَلَّوْا
ذَبَحُوا قُرْبَانًا
طِفْلًا أَوْشَكَ يَحْكِي
رَقَصُوا حَوْلَ النَّارِ
فَمَاتَ الزَّهْرُ
وَجَفَّ الطَّلُّ

أَغْلَقْنَا كُلَّ شَبَابِيكَ الْحِصْنِ
وَأَشْرَعْنَا الْأَبْوَابَ
وَقُلْنَا لِلْغَازِينَ أَطْلُوا
قَلْبِي يَا كَلًّا مُلْتَهَبًا يَنْهَشُهُ الظِّلُّ
حَتْمًا
يَلْتَمِسُ الْجُرْحُ وَتَغْفُو
تَسْكُنُ عَالَمَكَ الْوَرْدِيَّ
وَتَصْنَعُ قَارِبَكَ الذَّهَبِيَّ إِلَى الشَّمْسِ

إِلَى الشَّمْسِ سَتَرَحَلُ
أَيًّا كَانَ الْوَاقِفُ قُرْبَ الْبَابِ
وَمَهْمَا كَانَ السِّيفُ الْمُشْرَعُ غَدَّارًا
تَجَذَعُ أَنْفَ الْمُفْتَخِرِينَ بِلَا شَيْءٍ
وَتَزْرَعُ فِي أَعْيُنِهِمْ صُورَةَ عَالِمِكَ الْأَوْسَعِ

حَتْمًا سَتُقَابِلُكَ الشَّمْطَاءُ
تُعَازِلُ مِرَاةً مِنْ خَشَبٍ
وَتُلْمَعُ وَجْنَتَهَا الْمَذْعُورَةَ بِالصَّوَانِ
تَحْفِرُ بَيْنَ حَنَايَا الدَّرْبِ لِكُلِّ نَبِيٍّ حُفْرَةً
وَتَهْزُ عَصَاهَا لِلشَّيْطَانِ
وَتَسْرَحُ شَعْرًا كَالْقَصَبِ الْيَابِسِ مُنْتَشِرًا
فَوْقَ كَثِيبِ ظَمَانٍ

سَاعَتَهَا
يَتُورِدُ سَيْفَكَ

يَحْمَرُ
يُنَافِحُ
يُعَلِنُ أَنَّكَ
كُنْتَ الْأَوْحَادَ فِي وَجْهِ الطُّوفَانِ

سَابِلَةُ الدُّنْيَا، وَالبَيْدَرِ

يا هذا،
أَسْرَفْتَ عَلَى نَفْسِكَ
تَحْمِلُهَا فِي
مَعْرَكَةِ الْفَوْضَى أَنْ تَعْرِفَ نَسَقًا
يَسْتَعْرِقُ وَجَدَ الْقَدِيسِينَ
وَيُشْرِقُ فَوْقَ مَوَاكِبِ سَابِلَةِ الدُّنْيَا
لَوْ تَتَفَيَّأُ ظِلَّ سَحَابِ الْعُمْرِ الْعَابِرِ
تَسْتَرْخِي
تُدْرَجُ فِي مَشْهَدِكَ الْغَيْبِيِّ
زُعَاقَ طَوَاوِيسِ الْبَيْنِ عَلَى أَبْوَابِ الْحُلْمِ
وَتَذَرُوا بَيْدَرَكَ الذَّهَبِيِّ عَلَى
مَسْمَعِهِمْ
لَا شَكَّ
تُلَامِسُ جَوْهَرَةَ الزَّمَنِ الْمُقْفِرِ

حَشْرَجَةَ الرُّوحِ عَلَى نَاصِيَةِ الْمُطْلَقِ
لَكِنَّكَ
تَسْبَحُ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ
وَبِلَا زَوْرَقٍ
تَبْحَثُ عَنِ صَخْرٍ مِمَّا تَنْكَسِرُ الْأَحْلَامُ عَلَيْهِ
لِتَصْلُبَ رِجْلَيْكَ
وَتَنْظُرَ فِي دَائِرَةِ الْأَفْقِ مَلِيًّا
وَتُسَائِلُ
مَازَا ؟
لَوْ أَنَّ ... وَلَكِنْ ؟
حَسْبِكَ
إِنَّ عُيُونَ الْأَشْيَاءِ تُرَاقِبُكَ الْآنَا
وَمَرَا فِي بَحْرِ الظُّلُمَاتِ
تُفْرَخُ خُلُجَانَا
وَعُيُونُكَ فِي الْأَفْقِ مُسَافِرَةٌ
دَائِرَةٌ تَغْرُسُ فِي قَلْبِكَ أَسْنَانَا

مَقْبِضُ سَيْفِكَ مِنْ شَمْعٍ
وَفُصُولُ الْقِصَّةِ مِنْ دَمْعٍ
وَدِنَانُ الْخَمْرِ الْمَسْكُوبُ
يَصِيحُ لِيْمَالاً
فَامْلَأْهُ الْآنَا
حَدِّقْ فِيمَا أَسَلَفْتَ
وَحَسْبُكَ سَاعَةٌ
لَا حُبَّ عَلَى قَارِعَةِ الدَّرْبِ
وَلَا فِيمَا جَمَعْتَ
وَلَا فِيمَا يَعْرِضُهُ الْبَاعَةُ
الْحُبُّ إِلَهُ أُسْطُورِيٌّ
وَالْحُلْمُ عَلَى غَبَشِ الْعُمْرِ فُقَاعَةٌ

بِدَايَةٌ

مُعَلَّقُونَ فِي الْفَرَاغِ
أَهْدَابُنَا وَعُيُونُنَا
سَفِينَةٌ وَشِرَاعُهَا
لَمْ نَتَوَهَّجْ رُغْمَ أَنَا
فِي الْمَدَارِ سَابِحُونَ
لَمْ تَكْتَمِلْ أَشْيَاؤُنَا
الْبَيْتُ فِي صَحْنِ الْقَمَرِ
الشُّوكُ فِي شَعْرِ الْمَرَايَا
وَالْأَغَانِي كَالرِّصَاصِ

كَيْفَ تُقَدِّمُ هَذِهِ النَّفْسَ الْجَرِيحَةَ لِلْبِدَايَةِ؟!

طِفْلٌ وَحِكَايَةٌ

ثَمَّةٌ سَائِرِيَةٌ لِلْغَضَبِ الْحَافِي
مَقْبَرَةٌ لِعُيُونِ الذِّكْرِ
وَمَرَايَا مِنْ شَغَبِ الرَّحَلَةِ
لَا قَمَحَ عَلَى رَمْلِ السَّمَوَاتِ
وَلَا مَاءَ عَلَى هَاوِيَةِ الْجُوعِ
قَافِلَةٌ تَتَسَلَّقُ حُلْمًا
كَتِفٌ يَتَحَدَّى

وَشِرَاعٌ مَزَقَهَا الرِّيحُ
وَجَهٌ يَتَجَاوَزُ
وَالْأُفُقُ جَرِيحٌ

تَشِبُّ الْأَوْرَاقُ الصُّفْرُ عَلَى
خَضْرَى رُوحِي
أَخْطُو فِي ظِلِّ فَرَّاشَةٍ
أَتَشَاءُ فِي تَابُوتٍ

وَجْهِي دَالِيَةٌ لِزَيْتِيرِ الْوَقْتِ
فَضَاءٌ لِشِفَاهِ تَتَدَوَّرُ حَوْلِي
وَصَلَاةٌ لِلخَوْفِ

ثُمَّ أَنِّي طِفْلٌ
كَانَ مَعِي فَجْرٌ وَحِكَايَةٌ
وَكَوَاكِبٌ تُورِقُ مَا شَاءَ الشَّاعِرُ

مِنْ كَلِمَاتِ حَرَى
نَهَضْتُ فِي عَيْنِي الصُّدْفَةُ
كُنْتُ وَحِيداً
وَصَحَوْتُ عَلَى النَّارِ

وَاللَّائِي فِضْنَ كَمَا الْفَرَجِ الدَّامِي
فِي سَنَوَاتِ الْجُرْحِ الْأُولَى
كُنَّ إِنَائاً
صَهَوَاتٍ نَاهِدَةً فِي صَلَوَاتِ الْعَتَمَةِ
غَيْمَاتٍ أَمْطَرْنَ فَأَلْهَبْنَ صَهِيلِي
وَدَوَائِرَ ضَاكِكَةَ لِلْحُزَنِ
تَمَوْجٌ عَلَى أَقْبِيَةِ الرُّوحِ

كِي مَا أَتَكْوَرُ ثَانِيَةً حَوْلَ حُرُوفِي
لَا بَدَّ أَوْنَتْ هُذِي الْأَشْيَاءِ الْفَظَّةُ
أَقْتَلَعُ الْوَحْلَ مِنَ الْيَأَقَاتِ الْحُمْرِ

وَأَغْفُو
وَلْتَرْتَعِشِي يَا عَيْنِي
لِمَزِيدٍ مِنْ قُزَحِ الصَّحْرَاءِ

حَقْلٌ، وَمَا زَوْتُ

تُزَجِّينِي الْيَّامُ

كَمَا الْآلَاتِ

أَدُورُ

وَتَسْتَهْلِكُنِي النَّظَرَاتُ الصَّمَاءِ

أَبَاغْتُ أَشْوَاقِي فِي أَيَّتِهَا

تَمْشُطُ أَطْرَافَ جَدَائِلِهَا

وَتَدُورُ يَدَي رُغْمًا عَنِّي

أَتَلَمَسُ أَزْرَارَ الدُّنْيَا

وَأَسُوقُ حَكَايَايَ وَحِيدًا

قَدْ أَخْفَقَ دَوْلَايَ فِي الدَّوْرَانِ

وَرَائِحَةُ الْمَازُوتِ تَشِيْعُ عَلَي حَقْلِي

لَا يَنْتَصِبُ الْآنَ سِوَى نَظْرَاتٍ بَارِدَةٍ مِنْ أَشْيَاءٍ تُسَمَّى حَيَّةً

وَقَرَأْتُ عَلَي أَجْنِحَةِ الْحَشْرَاتِ:

" لَنَا الدُّنْيَا

وَلَكُمْ أَنْ تَرْتَحِلُوا"

كَوْمَةُ الرَّحِيلِ

مَرَّ سَاهِمًا
يَرْتَدِي غَبَشَ الطَّرِيقِ
كَانَتْ أَظْفِرُ الْغُيُومِ
نَاشِبَةً فِي الْهَيْكَلِ الطَّرِيقِ
جَائِعًا، رَدَّ السَّلَامَ
وَأَلْقَى رَأْسَهُ عَلَى كَوْمَةِ الرَّحِيلِ
مُسْتَخْفًا بِالْمَوَانِي
طَاوِيًا عَنَاقِيدَ الْخَطَرِ

قَلَّمَا شَدَّ انْحِنَاءَاتِ يَوْمِهِ
إِلَى لَحْظَةِ التَّرَاخِي
لَكِنَّ نَافِذَةَ الْمَوَاجِعِ
أَشَعَلَّتْ فِيهِ السَّفَرُ

عناق

غائراً
في متاهة البدء
حين عانق اللون والشذى
تنزف الريح من حبله السري
وتأسره الحروف
أيها التراب
أين خبأت أنصافنا الأخرى؟
ليوجعنا الحنين!

شُموع

في عيد ميلادِ لوسي
أتى الأصدقاءُ بالهدايا
وَقَبَّلُوهَا
وَقَبَّلَتْ لوسي الصِّبَا
هُوَ... هُوَ
وَأَطْفَأُوا كُلَّ الشُّمُوعِ

فِكْرَةٌ

لَوْ كُنْتُ فِكْرَةً
لَمَا خَرَّخَشَ الْحَوْرُ فِي أُذُنِي
وَلَا أَوْدَعَتْ صَوْتِي غَبَاءَ الْوَرَقِ
لَوْ كُنْتُ فِكْرَةً
لَعَشَّشْتُ فِي أَنْثَى الشَّجَرِ
وَأَوْرَقْتُ فِي رَبِيعِ السَّمَاءِ

الشارع

الشارعُ أُحْجِيَةُ الزَّمنِ الْمُقْفِرُ
نَافِذَةُ الرُّوحِ عَلَي عِزْرَائِيلُ
يَشْرِبُنِي كُلَّ صَبَاحٍ
كَحَسَاءٍ بَارِدٍ

* * *

الشارعُ سَدَّ بَيْنَ الرَّعْدِ وَسَامِعِهِ
بَيْنَ الصُّدْفَةِ وَالْعُكَّازِ
نَافِذَةٌ مُغْلَقَةٌ فِي مِخْلَبِ سَاعَةٍ
وَرَحِيلٌ مُخْتَزَنٌ فِي نَبْضِ الْعَائِدِ

حيرة

تلك التي وجهها كالفجر أخضر
نافذة الخريف على دمي
كم خطوة في زمن التردد
ينبغي للشاحب المأفون

أَنْ يَمْشِي
لِكِي يَقْتَرِفَ الْحَيَاةَ
كَمْ حَيْرَةً يَتَبَقَّى
بَعْدَ نَفْضِ الْيَدَيْنِ
عَلَى كَاهِلِ
قَضَمِ الْمَنَافِي
وَاحْتَرَفَ الْوَجَعِ

ديوان شارع آخر

صدر عن دار ورد للنشر والتوزيع

عمان - الأردن سنة ٢٠٠٩

الأعمال الشعرية الكاملة حتى عام ٢٠١٨ علي طه النوباتي

الأَرْضُ حَبِيبَتُنَا

الدَّهْشَةُ مَائِلَةٌ

كَعْزِيفِ الْجِنِّ عَلَى أَطْلَالِ نَوَافِدِنَا

رَابِيَةٌ ... رَائِعَةُ الْقَدِّ

تَسِيرُ بِأَطْرَافِ أَنْامِلِهَا

نَحْوَ الصَّحْرَاءِ

قَمَرٌ ... فَقَدَ الزَّيْتُونَ

يُؤَلِّفُ لَيْلَكُنَا الْبَرِّيَّ
يُشَارِكُنَا حَصْدَ التُّرَهَاتِ
وَنَغْفُو فِي الرَّمْلِ بَعِيداً
كَنَعَامِهِ

شيئاً ما
— إن شاءت عجالاتُ الصدفةِ —
مُنْتَصِفُ الْوَقْتِ الْآنَ
وَالْأَيْتَخَاصِمُ زَهْرُ اللَّوْزِ
وَمَاءُ النَّهْرِ
وَنَحِيسُ صَرِخَةِ مِيلَادِ صَعْبِ

شيئاً ما

في رِحْلَتِنَا مَا نَعَشَقُهُ

فَإِذَا مَا سَكَنَ الْأَفْقَ غُبَارُ السِّحْرِ الْأَسْوَدِ

وَاسْتَوَطَّنتِ الْجَوَّ رِمَاحُ بَنِي الْمَوْتِ

نَتَقَّوْسُ حَوْلَ سِهَامِ الْعِشْقِ

وَنَخْتَرِقُ الْغَيْمَ

مَرَايَا

تَعَكِّسُ زُرْقَةَ كَوْكِبِنَا

شيئاً ما

نَدْرِي كَيْفَ يَخْطُ الشَّفَقُ الْأَحْمَرُ

كَوْكِبَةَ الْأَمْوَاجِ

وَتَسْكُنُ تِلْكَ الْغُرْبَانُ سَنَامَ الْأَشْيَاءِ

وَبِمَا فِي أَنْفُسِنَا

يَنْطِقُ صَخْرُ الشَّاطِئِ أحيانًا

وَيَمُوتُ الْأَحْيَاءُ

مُنْتَصِفِ الْوَقْتِ الْآنَ

دُخَانٌ يَصَّاعِدُ فِي تِيهِ الصَّمْتِ

وَحُزْنٌ بَدَوِيٌّ يَتَكَاثِفُ فِي رَمْلِ الصَّحْرَاءِ

لِيُمْطَرُ

سَاعَتُنَا الرَّمْلِيَّةُ تَنْزِفُنَا بِبَلَاهَتِهَا الْمَعْهُودَةَ

ذَرَّاتٍ مِنْ تَعَبِ الْأَرْضِ بِمَا فِيهَا

مِنْ حَرٍّ وَبُرُودَةٍ

وَيَضِيقُ النَّخْلُ بُوَاحَاتِ

يَتَعَفَّنُ فِيهَا الْعُمُرُ

وَتَغْفُو الْأَنْشُودَهُ

الْأَرْضُ حَبِيبَتُنَا

وَالسَّمَكُ الْجَائِعُ فِي بَحْرِ الظُّلُمَاتِ

مَزِيحٌ مِنْ فَرْعِ الْأَشْجَارِ

وَمِنْ غُرْبَتِنَا

وَإِذَا مَا احْتَضَنْتُنَا يَوْمًا

فَلِأَنَّ النَّجْمَاتِ تُضَاجِعُ أَعْيُنَنَا

جرش ٢٥/١٠/٢٠٠١م

الْخَرْزُ الْعَسَلِيّ

إلى خلدون بني عُمرَ والبحر والأصدقاء

لِغْرِيقٍ يَتَعَفَّرُ بِالْمِلْحِ
عَلَى قَامَتِهِ

وَجِهَانُ

ثَلْجٌ يَتَلَفَعُ بِالْغَيْبَةِ

تَمْحُوهُ الرِّيحُ

وَتَكْتُبُهُ الْأَحْزَانُ

آخِرُ بَدَوِيٍّ

تَقَطَّرُ سَمْرَتُهُ شِعْرًا

يَتَحَرَّى وَجْهَ الْقِطَّةِ

فِي زَوْبَعَةِ الْفُنْجَانِ

* * *

لِغَرِيقٍ يَتَسَمَّرُ فِي أَحْجِيَةِ الْمَوْتِ

مَرافِئُ لِلرَّوْحِ

يُمَارِسُ فِيهَا

شَعْوَذَةَ الْغُضَنِ عَلَى الْأَوْراقِ الصُّفْرِ

حِرَاكَ الرَّمْلِ عَلَى قَافِيَةِ الطُّوفَانِ

* * *

خَرَزُ عَسَلِيٍّ جَازَفَ بِالْعَوْسَجِ

كَي يُصْبِحُ أُغْنِيَةً

فَاخْتَلَفَ الدَّرْبُ

وَفَارَقَهُ الْخِلَانُ

٢٠٠١/١١/٢٨

شارِعْ آخِرْ

مَرَّ مِنْ هُنَا

شَعَشَعَ الْأَبْيَضُ مِنْ مَرَكَبَتِهِ الْمَسْحُورَةِ

كَانَ الرَّبُّ إِلَى جِوَارِهِ

ذَهَبُ يَخْرُجُ مِنْ أَلْتِ الزُّجَاجِ

زَيْتٌ عَلَى قِمَاشٍ

نَقْشٌ عَلَى جَنَاحِ فَرَاشَةٍ

كَانَ يَبْتَسِمُ

جِدُّ الْمَقَاعِدِ الطَّرِيَّةِ حَوْلَهُ

كَانَ يَبْتَسِمُ

وَأَشَعَّةُ الشَّمْسِ أَيْضاً

كَانَتْ تَبْتَسِمُ

كَانَ الرَّحِيلُ أَشَدَّ تَبْكِيئاً لِلضَّمِيرِ

وَكَانَتْ الزُّهُورُ الْجَمِيلَةُ

مَصْنَعاً لِلْأَلَمِ

ثَمَّةَ شَارِعٍ آخَرَ

تَمَوَّءُ فِيهِ الرُّوحُ

مِثْلُ هَيْكَلٍ قَدِيمٍ يَضِيقُ بِالْمَسَافَةِ

يُعْجُ بِالْأَغَانِي

وَتَفْوُحٍ مِنْ نَوَافِذِهِ

أَبْخِرَةُ الْعِشْقِ وَالنِّسَاءِ

الكَاهِنُ الْمُعْتَقُّ

كَانَتْ لِحَيْتِهِ مِثْلُ غَيْمَةٍ فِي غَسَقِ الْغُرُوبِ

أَطْلَقَ الطُّيُورَ مِنْ بُرْجِهِ الْمُحَدَّبِ

وَالْتَفَّ مِثْلَ أَفْعَى

وَتَدَخَّرَ فَوْقَ الْجَلِيدِ

أَشَارَ نَحْوَ الْفَرَاغِ

-حَاوَلَ أَنْ تُقَلِّدَنِي-

حَدَّثْتُ فِي قُطْنِي الْمُبَعَثِ

لَمْ أَكُنْ وَائِقًا

وَوَجَدْتَنِي أَلُوذُ بِالْفِرَارِ

إِلَى شَارِعِ آخِرِ

رَأَيْتُ طِفْلًا فِي لُفَافَةٍ

يَبُولُ عَلَى قِصَّةِ الْمَجِيءِ

كَانَ الدُّخَانُ يَصَّاعِدُ فِي غَابَةِ الْبُكَاءِ وَالضَّحِكِ

وَكُنْتُ جَائِعًا

فَانْتَزَعْتُ مِنْ حَلْقِي صُرَّةً مِنَ الْغُصَّاتِ وَالْمَرَاثِي

رَأَيْتُ بَيْنَهَا رَبَّةَ الْجَمَالِ وَالسَّعَادَةِ

كَانَتْ سَاقُهَا الْوَحِيدَةُ مِثْلَ مِدْخَنَةٍ شَاحِبَةٍ

فَأَغْمَضْتُ عَيْنِي

وَلَذْتُ بِالْفِرَارِ

إِلَى شَارِعِ آخَرَ

رَأَيْتُهُمْ مَعًا

أَحْيَاءَ وَمَوْتَى

كَانُوا يَجْمَعُونَ الْحِجَارَةَ

يَسْكُبُونَ الْكَلَامَ عَلَى أَشْيَائِهِمْ

فَتَبْدُو مُضِيئَةً

لَكِنَّهَا فِي أَوَّلِ الظَّلَامِ

تَخْلَعُ قِنَاعَهَا

ثُمَّ تَغْفُو فِي التَّوَافِدِ الْبَلِيدَةِ

قالوا: تَعَالَ نَزْرَعُ الكُؤُوسَ فِي مَرافِي الرِّحِيلِ

عَلَّنا نَتَوَهَّجُ مِثْلَ النُّجُومِ

لَمْ أَكُنْ وَائِقًا

وَلذْتُ بِالْفِرارِ

إِلَى شارِعِ آخِرِ

بِلا حَيْزٍ وَلَا شَجَرِ

قِماشُ فَرٍّ مِنْ زَيْتِهِ

وَالَّذِي مَرَّ مِنْ هُنَاكَ

مِنْ كَوَكِبِ آخِرِ

كَانَ يَبْتَسِمُ

الخُروجُ مِنْ بابِ الدُّخولِ

أَنَذَا أَقْصُ عَلَيْكَ مَا عَرَفْتُ مِنْ أَمْرِي

الْعَتَمُ دَاهَمَ شَارِعَ اللَّذَاتِ

فَأَنْتَفَضَتْ يَدُ الْغِلْمَانِ بِالْخَمْرِ

كُنَّا فُرَادَى

وَالْتَأَمْنَا مِثْلَ عَصْفِ الرِّيحِ فِي إِثْمِ المَجْبِيِّءِ

وَأَوْرَقَتْ أَيَّامُنَا جَمْرًا عَلَى جَمْرٍ
نَخْرُجُ مِنْ بَابِ الدُّخُولِ
وَكُلَّمَا نَزَّتْ أَدُورُ مَرْفَأُنَا
نَحْجُ عَلَى بِيَادِرِ الصَّبْرِ
أَنْذَا أَقْصَى عَلَيْكَ مَا عَرَفْتُ مِنْ أَمْرِي

التَّاجِرُ الْمَأْفُونُ لَوْحَ لِلنَّهَائِهِ
شَرِبَ الْمَعَابِدَ وَالْأَغْنِي وَالخَطَايَا
وَأَعَدَّ مَأْدِبَةَ الْغَوَايِهِ

كُنَّا فُرَادَى
لَمْ يَكْتَرِثْ لَيْلُ الْمَدِينَةِ بِالسَّحَابَةِ

حِينَ دَاهَمَهَا الدُّحَانُ
لَمْ يَنْطَفِئِ شَغْفُ التَّفْرُسِ فِي الْوُجُوهِ
وَمَا تَرَى غَيْرَ الدِّهَانِ
رَفَعَ الْمَهْرَجُ رَأْسَهُ
- عَيْنَاهُ دَامِعَتَانُ -
ضَحِكْتُ بَرَاغِيثُ الشُّوَارِعِ
وَالْمَلَاهِي وَالْحَسَانِ
وَاسْتَوْحَشَ الْأَطْفَالُ فِي حَيِّ الصَّفِيحِ
" لِتَنْبَرِي أَجْسَادُهُمْ
صَيْدًا ثَمِينًا لِخَيَالِ الْمَاتَةِ "
يَتَسَاءَلُونَ:
مَنْ عَلَّقَ الْأَشْجَارَ فِي شَغَبِ الشُّوَارِعِ

رُغْمَ أَحْزَانِ الْقَمَرِ؟
مَنْ أَشْعَلَ النَّيْرَانَ فِي لَحْمِ الْقَصَائِدِ
رُغْمَ سُخْرِيَةِ الْقَدْرِ؟
مَنْ أَخْرَجَ الْأَطْفَالَ مِنْ أَشْعَارِهِمْ بِالسَّحْرِ؟
أَنْذَا أَقْصُ عَلَيْكَ مَا عَرَفْتُ مِنْ أَمْرِي
كُنَّا فُرَادَى
وَاسْتَبَقْنَا
كَانَ الطَّرِيقُ أُهْلَةً فِي الْفَجْرِ
جَفَلَتْ غَزَالَتُنَا اشْتِهَاءً
وَتَسَمَّرْتُ فِي هَيْكَلِ الذُّعْرِ
وَاسْتَوَطَنْتُ فِي الرُّوحِ أُغْنِيَةً
فِي مَرَايِي بُؤْسِنَا تَجْرِي

حَقًّا لَقَدْ ضَاعَتْ خُطَانَا
لَكِنَّ عُمْرًا قَدْ يُضِيءُ الْآنَ فِي الْعُمْرِ

جرش ٢٠٠٦/٣/٢

عاشق

يا الَّذِي شَغَلْتَكَ الشَّوَارِعُ
كَيْفَ تَمُرُّ الشَّوَارِعُ
قُرْبَ حُطَامِ الْقَدَمِ
كَيْفَ تَقْتَلِعُ الْمَسَافَةَ
مِنْ رَوْعَةِ الْأَفْقِ

وتَغْرِسُهَا فِي الْعَدَمِ

يَا الَّذِي شَرِبْتَكَ الْمَوَاجِعُ

هَذَا تُرَابُكَ

هَذَا رِمَالُكَ

تِلْكَ جِبَالُ الْأَلَمِ

عَاشِقُ أَنْتَ

فَالْكَوْنُ نَافِلَةٌ

وَالْخُطَى

غَفْلَةٌ مَرَّ بِهَا رَصِيفُ النَّدَمِ

غُبَارٌ

لَشَمِي لِرَوْنَقِكِ الْمُعْتَقِ
وَأَنْبِثَاقِي مِثْلَ غَابَاتِ الصَّنُوبِ
قُرْبَ نَهْدِ شَامِخٍ يَتَعَرَّى
حَدَثٌ

يُؤَلِّفُ بَيْنَ أَوْرَدَةِ المَوَاجِعِ
وَالدُّوَارِ

وَأَنَا

يَدٌ كَانَتْ تُلَوِّحُ دَائِمًا

عِنْدَ الْمَحَطَّةِ لِلْهَوَى

وَتَعُدُّ أَبْوَابَ الْقِطَارِ

وَأَرَى بِوَاكِيِرِ التَّنْفُسِ قُرْبَ قَلْبِي

وَالْتِهَابَ الْعِشْقِ فِي فُرَجِ النَّهَارِ

كُرْوِيَّةٍ أَيَّامُنَا

أَنَا عَشِقْنَا... نَشْرَبُ الْبَحْرَ

وَقَدْ نَجَمَعُ حَبَّاتِ الْغُبَارِ

الزُّجَاجُ

رَيْثَمَا نَتَبَادَلُ تَيَّارَنَا الْمُوَحِّشَ فِي غُرْفِ الْأَفَاعِي
الصَّقِيلَه
تَسْتَعِيدُ النَّوَاذِ شَهْوَتَهَا لِلتَّخَطِّي
نَتَبَخَّرُ عَبْرَ الزُّجَاجِ كَمَا هَارِبٍ شَرِبَ الْمُسْتَحِيلِ
نَجُوبُ الْفِيَا فِي وَنَقْرًا تَدْوِيرَةَ السَّرْوِ
وَنَسْكُنُ فِي جَدِيلَه
الزُّجَاجُ إِلَهٌ قَدِيمٌ قَتَلْتَهُ السَّائِرُ بِاسْمِ الْفَضِيلَه

أَرْقُ

لَوْ أَنِّي الْإِسْفَنْجُ
لَمَّا أَرْقَنِي هَذَا الْغَنْجُ الْمُتَوَحِّشُ
فِي رَدَّهَاتِ اللَّيْلِ
وَلَمَّا طَابَ الْمَوْتُ لِعَيْنِي
وَلَمَّا أَحْرَقَنِي الْوَيْلُ

زَرَافَةٌ

هُنَاكَ

عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ الْبَعِيدِ

تَتَهَيَّأُ الزَّرَافَةُ لِالْتِهَامِ الْغُيُومِ

لَكِنَّ أَقْدَامَهَا

تَغْوُصُ فِي حَقْلِ الْأَغْنَانِي

فِيحْتَرِقُ النَّعْمَ

الفَجْرُ

الفَجْرُ يَأْتِي مَرَّةً أُخْرَى

مِثْلَ أَعْوَادِ الْمَشَانِقِ

لَا الشَّمْسُ تُسْرِجُ قَامَةَ الرِّيحِ

وَلَا تَتَغَيَّرُ الْأَسْمَاءُ فِي صَخَبِ الْمَحَارِقِ

الزُبْعَة

مِنْ وَحْيِ غَابَاتِ جَرَشٍ وَعَاجِلُونَ^١

العُرُوسُ الَّتِي سَكَنْتَ هُنَا

مُنْذُ خَمْسَةِ عَشَرَ عَامًا

مَاتَتْ أَمْسُ

شَيَّعَهَا سِرْبٌ مِنَ الْعَصَافِيرِ الْمُلَوَّنَةِ

أَطْفَالُهَا الصِّغَارِ

كَانُوا يُرَبِّتُونَ عَلَيَّ قِطَّةً جَائِعَةً

^١ جرش وعجلون مدينتان في شمال الأردن.

إِلَى أَنْ عَضَّهَا التُّرَابُ
النِّسَاءُ فِي لَيْلَةِ الْوَدَاعِ
كُنَّ يَهْرُقْنَ شَيْئًا مِنْ تَفَاصِيلِهِنَّ
فِي اللَّحْظَةِ الْعَابِرَةِ
وَكَمَا فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى تَمَامًا
عَشَقْتُهَا حَدَّ النَّزِيفِ
كَانَتْ تَجْلِسُ قُرْبَ دَالِيَةِ النَّدَى
تُسْرِحُ شَعْرَهَا الطَّوِيلَ
وَتُنَاغِي زُهُورَ الرَّبِيعِ
قَبْلَ أَنْ يَثُورَ الْغُبَارُ عَلَى الْمَصَابِيحِ الصَّغِيرَةِ

الْأَفْعَى ذَاتُ الْعُيُونِ الْمُشْتَعَلَةِ

وَالْقَامَةَ الرَّشِيقَةَ

تَنْتَصِبُ فَوْقَ صَخْرَةٍ مَلْسَاءِ

مِثْلَ زَوْبَعَةٍ

وَرَاءَهَا تِلَالٌ مُبَلَّلَةٌ بِالرُّؤْيِ

وَالضَّبَابِ الشَّفِيفِ

دُرُوبٌ تَتَعَرَّجُ بَيْنَ بَلَّوْطِ الْجِبَالِ الْخَرِيفِ

وَالْأَغَانِي الْمُسْتَدِيرَةِ

جِلْدُهَا سِجَّادَةٌ فَارِسِيَّةٌ قَدِيمَةٌ

رَأْسُهَا الْمَهِيبُ

يَجُولُ فِي بَرَاثِنِ الْأُفُقِ

وَيَنَامُ فِي مَسَالِكِ النُّجُومِ

وإلى متى؟

يَعُودُ الْفَارِسُ الشُّجَاعُ مَخْدُوعًا

تَنْزُ مِنْ سَيْفِهِ حِكَايَاتُ الْخَيْبَةِ وَالْأَلَمِ

إلى متى؟

يَشْرَبُ مِنْ صَوْتِهِ تَقَلُّبُ الْفُصُولِ

يَتَجَرَّعُ بِيَاضَ فُسْتَانَ الْعُرُوسِ

وَبِيَاضَ الْكَفَنِ

حَبِيبَتِي

بِحَّ صَوْتِ النَّايِ

وَانْفَجَرَتْ فِي عُرُوقِي غَيْمَةٌ دَاكِنَةٌ

لَسَعَةٌ بَرْدٍ أَشَعَلَتْ شَوْقِي الْقَدِيمِ

كَانَ رَأْسِي شَوْكَةً فِي عَالَمٍ كَبِيرٍ
كَيْفَ أَبَدُّ رَغْبَتِي فِي الْعَدُوِّ بَيْنَ الدُّرُوبِ الْوَعِرَةِ؟
كَيْفَ أَمُدُّ يَدِي نَحْوَ السَّمَاءِ؟
وَأَعَانِقُ اللَّزَابَ وَهُوَ يُشْرِقُ فَوْقَ رُوحِي
مِثْلَ إِلَهٍ أَخْضَرَ
كَيْفَ أَمُدُّ عَيْونِي فِي الْأَفْقِ
فَوْقَ صَخْرَةٍ مَلْسَاءِ
وَأَنْتَصِبُ مِثْلَ زَوْبَعَةٍ؟!

الْعَادِمُ وَالْكُسَالِي

الْعَادِمُ يَنْفُثُ أَدْحِنَةً سَوْدَاءَ
يَزَارُ فِي وَجْهِ الْكَسَلِ النَّاعِسُ
يَتَلَهَّى بِنَهَارٍ دَافِئٍ
بِصَفِيرٍ مُنْتَظَمٍ مَمْجُوجٍ

الْبِنْتُ الشَّقْرَاءُ
تَمْشِي فِي شَفَقِ أَحْمَرَ

مَطْلِي بِشَهيقِ شَبَابِ ال " سي دي "
وَنَهيقِ الأَعْضَاءِ المُشْتَعَلَةِ
يَدُهَا تَتَكَوَّرُ حَوْلَ " الموبايل "
كَجَنَاحِ حَمَامَةٍ
تَتَلَمَّظُ أَعْمَدَةَ الهَاتِفِ
يَنْتَصِبُ الشَّارِعِ
وَتَموؤُ القِطَطُ المَخْنُوقَةُ

- العَادِمُ يَنْفُثُ أَبْخِرَةً حَمْرَاءَ -
فَلِمَاذَا لَا نَعْرِفُ هَنْدَسَةَ الشَّكْلِ المَحْسُوبِ بِدِقَّةِ
تَكْوِينِ الخُطُواتِ الحُبلى
كَيْفَ نَدوُسُ الأَطْفالِ وَقِشْرَ البَطِيخِ
وَنَغْفُو فِي رَشْفَةِ قَهْوَةٍ

العَادِمُ أُغْنِيَةٌ يَتَجَمَّعُ فِيهَا أوباشُ اللَّيْلِ

ثُورٌ يَتَدَحْرَجُ فَوْقَ جَلِيدِ دَاكِنٍ
وَرَمَادٌ يَتَشَكَّلُ فِي مَدَنِ الْخَيْبَةِ
شُطَّارٌ يَتَّبِعُونَ مِنَ الشَّجَرِ الْبَاكِي
ثُوبًا لِلْعَرِيِّ السَّاكِنِ فِيهِمْ
غَبَشًا يَكْسِرُ أَنْيَابَ الضَّوءِ
وَرَقًا لِقَصَائِدِ مَهْزُومَةٍ
زَمَنًا لِدُرُوبِ مَأْزُومَةٍ
وَعَيْنًا لِرُؤُوسٍ لَا وَجْهَ لَهَا
فَلِمَاذَا لَا نَعْرِفُ هَنْدَسَةَ الشَّكْلِ الْمَحْسُوبِ بِدِقَّةٍ
زُوبَعَةً تَفْغَرُ صَمْتِ الزَّمَنِ النَّائِمِ
تُوقِظُ أَجْنَحَةَ النَّارِ
وَتَحْمَلِقُ مِثْلَ الْبَرْقِ عَلَى حَامِيَةِ الْأَسْرَارِ

الْعَادِمُ بَطْلٌ فِي كُومِيدِيَا الصَّحْرَاءِ
لَحْنٌ غَنَاهُ الصَّمْتُ وَتَقْدِيسُ الْأَسْمَاءِ

طِفْلٌ يَرْقُصُ فِي أَرْجُوْحَةٍ
عِنَبٍ

يَقْطُرُ خَبَلًا وَجُنُونًا

وَإِطَارٌ ذَهَبِيٌّ لِمَتَارِسِ الْمَوْتِ

لِعَجُوزٍ يَسْكُنُ أَرْضِيفَةَ الْوَهْجِ الصَّفْرَاءِ

يَتَهَدَّلُ فِي مِقْشَرَةِ الْأَسْئَلَةِ الصَّعْبَةِ

أُورِدَةٌ وَشَرَايِينُ

وَشَطَايَا قِصَصٍ مُلْقَاةٍ فِي عِبَثٍ فَاجِرٍ

لَيْسَ عَلَى الْأُوبَاشِ حَرْجٌ

لَيْسَ عَلَى تِجَارِ الْكَلِمَاتِ حَرْجٌ

لَيْسَ عَلَى الْأَصْنَامِ حَرْجٌ

لَيْسَ عَلَى الصَّحْرَاءِ نَخِيلٌ

وَمَرَايَا

وَحِسَابٌ قَبْلَ الْمَوْتِ

وَمِيزَانُ نَوَايَا

فَلِمَاذَا لَا نَعْرِفُ هَنْدَسَةَ الشَّكْلِ الْمَحْسُوبِ بِدِقَّةٍ

جِيفٌ تَتَمَلَّمُ فِي مَقْبَرَةِ الْأَفْيُونِ
تَمْسَحُ بِوَسِّ الزَّمَنِ الْقَادِمِ
أَوْ تُقْعِي مِثْلَ غُرَابٍ مَجْنُونِ

* * *

الْعَادِمُ يَتَجَلَّى فِي مَأْدِبَةِ الْعَارِ
يَصْطَفُ عَلَى أَبْسَطَةِ حَمْرَاءٍ كَمَا شَبَّحَ أُسْطُورِيٌّ
تَتَّبِعُهُ فَذَلِكَ الْفِيزِيَاءُ
يَتَحَرَّى لُغَةَ النَّمْلِ وَمَمْلَكَةَ النَّحْلِ
وَمَا قَبْلَ الْعُمْرِ
وَمَا بَعْدَ الْعُمْرِ
وَسِرَّ قَوَافِي الشُّعْرَاءِ
يُحْكِي أَنَّ مَسَاءً مَا أَوْجَعَهُ مَوْتُ الشَّمْسِ؛
بَكَى وَاسْتَوْحَشَ،

لَكِنَّ الْغَازَاتِ تَحَرَّتْ أَمْرَ اللَّيْلِ فَأَعْدَمَتِ الْغُرَبَاءَ

يُحْكِي أَنَّ الْأَشْجَارَ انزَعَجَتْ فَكَسَاهَا الْعَادِمُ أَوْرَاقًا
سُودَاءَ

يُحْكِي أَنَّ الْأَنْفَاسَ احْتَجَبَتْ حَتَّى مَاتَ الطَّعْمُ
وَفَزْنَا بِدَوَارِ الْبَحْرِ وَبِالصُّورِ الْبَلْهَاءِ
فَلِمَاذَا لَا نَعْرِفُ هَنْدَسَةَ الشَّكْلِ الْمَحْسُوبِ بِدِقَّةٍ
وَجَعَّ مُخْتَزِنٌ فِي بُرْهَةٍ صَمْتٍ
وَعِنَاقٍ مُشْتَعِلٍ فِي شُرْفَةِ دَارٍ
مَعْرَكَةٌ وَغُبَارٌ
وَبِدَايَةٌ

إلى جاليليو

مِنْ وَحْيِ مَجْرَزَةِ جَنِينِ

جاليليو

شَجَرَأَنْتَ

وَنَارُ مُطْفَأَةٌ فِي أُفُقِ حَالِكِ

كَفَنٌ أَبْيَضٌ فِي حَرْبِ الْفُجَّارِ يَلُوحُ كَرَايَةِ سِلْمِ

فَوْقَ رِحَالِكِ

يَتَحَلَّقُ حَوْلَكَ قُطَّاعُ الطُّرُقَاتِ

فَيَسْطَعُ نَجْمُ الزَّمَنِ الهَالِكُ

جاليليو

هَلْ يَتَّسِعُ الغَيْبُ الآنَ لِأَمْثَالِكُ

صَبِيَّةٌ مِنْ جَدَارَا اسْمُهَا حُورَانُ^١

أَبَا الطَّيِّبِ^٢

تَعِبَتْ رَا حِلَّتْكَ فَاسْتَرِحْ

فِي جُعْبَةِ الْأَفْقِ مَرْفَأً لِلْقَصَائِدِ

سَفِينَةً تَتَحَدَّى التَّعَبَ

^١ جدارا هي مدينة أثرية في شمال الأردن تُطل على بحيرة طبريا وتسمى أيضا أم قيس، وهوران هي السهول الممتدة من شمال الأردن إلى جنوب سوريا.

^٢ أبو الطيب المتنبي

خَيْمَةٌ لِلنُّسَاكِ
يَطْلُبُونَ الْوَصَلَ فِيهَا
وَكِتَابٌ مِنْ صَهِيلِ الْخَيْلِ
يُشْرِقُ فِي أَصْوَاتِهِمْ
لَا الشَّعْرُ يُطْفِي لَظَى التَّرْحَالِ
لَا وَجَعُ الْأُمْنِيَاتِ
وَلَا فَيْضُ التَّرَاتِيلِ الْقَدِيمَةِ

أَبَا الطَّيِّبِ
هَآ هِيَ رَبَّةُ السَّنَابِلِ تَعْمُرُ الْفَضَاءَ
حَزِينَةً لَكِنَّهَا تَضِجُ بِالْعِشْقِ وَالْأَغَانِي
تَبُوحُ كُلَّمَا أَيْنَعَ أَقْحُونُهَا بِالْقَمْحِ وَالسَّنَابِلِ

قَفْ مَعِي نَشْرَبُ مِنْ عِطْرِهَا قَصِيدَةَ
نَرَسْمُ مِنْ مَدَاهَا زَوْرَقًا لِلتَّجَلِّي
وَنَجْمَعُ الْأَحِبَّةَ رُغْمَ أَنْفِ الْغِيَابِ

أَبَا الطَّيِّبِ

غَنَّ لِلْمَجْدِ فِي حُورَانَ الْأَبْيَةِ
رُبَّمَا تَمُوجُ السَّنَائِلُ فِي الْحَرْفِ النَّدِيِّ
رُبَّمَا تَعُودُ طُقُوسُ الْحَصَادِ
تَتَدَخَّرُ الْعَرَبَاتُ مِنْ بَيْلَا^١

^١ بَيْلَا مَدِينَةٌ أُثْرِيَّةٌ فِي شَمَالِ الْأُرْدُنِّ.

نَحْوَ بِلَادِ إِيزِيسِ^١
وَيَلْمَعُ فِي الْأَفْقِ سَيْفُ خَالِدِ^٢

أَبَا الطَّيِّبِ
تَعِبَتْ رَا حِلَّتْكَ فَاسْتَرِحْ
هُنَا فِي بَيْتِ رَاسِ^٣
مِيلِيَاغْرُوسُ^٤
يَرْقُبُ الْأَضْوَاءَ فِي تَلِّ إِرْبِدِ^٥
يَعْرِفُ لَحْنَ الدَّوَالِي الْعَتِيقَةَ

^١ بلاد إيزيس هي مصر، وإيزيس هي إلهة رئيسية في الديانة المصرية القديمة.

^٢ خالد بن الوليد

^٣ بيت راس بلدة في شمال الأردن.

^٤ ميلياغروس الجداري: عاش في القرن الأول قبل الميلاد، أحد قدماء شعراء اللغة

اليونانية. ولد في مدينة غدارا الواقعة في الأردن حالياً والتي تُسمى اليوم "أم قيس".

^٥ إربد مدينة في شمال الأردن.

وَيَشْرَبُ نَخْبَ الْقَوَافِلِ

"تعالوا جميعاً

نَمُوجُ فِي التُّرْبَةِ الْحَمْرَاءِ

نَتَسَلَّقُ عَبَقَ الْأُقْحُونِ

نَتَجَلَّى مِثْلَ غَيْمَةٍ

وَنُحَاكِي اللَّوْنَ فِي جَدَارِ"

أَمْسِ مَرَّتْ إِلَهَةٌ صَغِيرَةٌ

عُيُونُهَا عَسَلِيَّةٌ

وَتُوبُهَا ضَبَابٌ مُطْرَزٌ بِالنُّجُومِ

حَدَقَتْ فِي الْأُفُقِ

وَأَنْصَتَتْ طَوِيلًا

ثُمَّ أَنْحَنَتْ مِثْلَ مَنْجَلٍ

وَتَكَوَّرَتْ كَحَبَّةِ قَمْحٍ

- ميلياغروس أنبئني بالحكاية^١؟

"تِلْكَ صَبِيَّةٌ مِنْ جَدَارَا

اسْمُهَا حَوْرَانُ

أَحَبَّهَا أَلْفُ فَارِسٍ

وَهَيَّمَتْ أَلْفَ شَاعِرٍ

لَكِنَّهَا هَامَتْ فِي الْحُقُولِ

تِلْكَ صَبِيَّةٌ مِنْ جَدَارَا

قَرَأَتْ عِشْقَ الشَّيْخِ^٢ الْبَعِيدِ لِلْسَّنَابِلِ

^١ ميلياغروس: شاعر يوناني وُلد وعاش في جدارا وهي مدينة أثرية في شمال الأردن
تسمى الآن أم قيس.

^٢ إشارة إلى جبل الشيخ الواقع في سوريا ولبنان.

جَلَبَتُ مِنْ ثَلَجِهِ عِقْدًا لِلْأُقْحَوَانِ
وَاشْتَعَلْتُ فِي كُلِّ حَقْلٍ نَشِيدًا
وَفِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ أُغْنِيَةٌ

أَيْتَاهُ السَّمَاءُ أَمْطِرِي
حُورَانُ مَسْرَحِ الْجِبَالِ
عِبَاءَةُ الصَّحْرَاءِ الزَّاهِرَةِ
أَنْشُودَتُهَا الْخَالِدَةَ
شَعْرُهَا سَنَايِلُ
عَشَقْتُهَا مَشَاعِلُ
طَبْرِيًّا مِرَاتُهَا الصَّغِيرَةَ الْمُتَلَأْلِئَةَ
الْقَرِيبَةَ الْبَعِيدَةَ

يُحْكِي أَنَّ جَدَارًا تَهْبِطُ مِنْ عَلَيَّهَا كُلَّ يَوْمٍ

تَغْسِلُ وَجْهَهَا فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ الصَّافِيَةِ

تَمَشُطُ شَعْرَهَا

وَحُورِيَّاتُهَا السَّاحِرَاتِ

يَرَقُصْنَ فِي الْأُفُقِ

فَتَنْهَضُ السَّنَابِلُ بِحَبِّهَا الذَّهَبِيِّ

بِذَا كَرَّتْهَا الْمَسْكُونَةُ بِالشُّمُوسِ

" أَيُّهَا الْمَارُّ مِنْ هُنَا

تَفَرِّسْ فِي عَيْونِي

فِي حِجَارَتِي السُّودَاءِ

فِي خُطُواتِ الرَّاحِلِينَ

بَدَأْتُ الْآنَ أَعْرِفُنِي

بَدَأَتْ أَخْرَجُ مِنْ رَمَادِي

أَصْنَعُ مِنْ غَدِي شَجَرًا

وَمِنْ سَنَابِلِي قَمْرًا

رُغْمَ الظَّلامِ "

رِسَالَةٌ إِلَى الْحَرِيَّةِ

أَنَسْتِي الْعَجْرِيَّةَ

كُلُّ الْأَشْيَاءِ هُنَا تَقْمَعُنِي

لُغْتِي

وَلِسَانِي الْمَلْفُوحُ بِنَارِ الْغُرْبَةِ

وَأَغَانِيَّ الْمَسْكُونَةَ بِالْخَوْفِ

أَجْمَعُنِي

وَأُرِيدُ أَبُوحَ

فَتَقْصِفُ مِنْ حَوْلِي شَارَاتُ التَّحْذِيرِ

وَأَكْتُمُ أَنْفَاسِي

مِثْلَ نَهَارٍ مَذْبُوحٍ

أَنِسْتِي

كَلِمَاتِي لَا تَحْمِلُ مَعْنَى

فَالسَّقْفُ يَنَامُ عَلَى صَدْرِي

أَتَلَعَثُمُ

وَالصَّوْتُ يَرُوحُ

أَنِسْتِي

مُنْذُ خَلَعْتَ ثِيَابَكَ قُرْبَ قُرُودِ اللَّيْلِ

وَتَبَدَّتْ أَشْيَاؤُكَ
تَسْبَحُ فِي الْعَظْمِ الْأَزْرَقِ
أَدْرَكْتُ بِأَنْي سَأْمُدُّ يَدِي
لِفِرَاغِ أَبَدِيٍّ لَا يَنْضَبُ
وَسَأَسْبَحُ دَهْرًا فِي قَيْدِي

أَنِسْتِي
لَمَّا يَكْتَمِلُ الْحُلْمُ الْآنَ
وَمَا زِلْتِ إِطَارًا وَرَدِيًّا
لِرَحِيلٍ مُنْتَظَرٍ مُنْذُ الدَّهْرِ
وَبَرِيْقًا فِي حَدَقَاتِ أَوْجَعَهَا
تِكْرَارُ الْمَشْهَدِ لِحَفَافِ النَّهْرِ

أَنَسْتِي

كُونِي كَفْنِي

إِنَّ لَمْ أَتَذَوَّقْ نَوْرَ الشَّمْسِ

وَأَهْلَكَنِي الْقَهْرُ

نافذة الصِّباح

كُلَّمَا هَرَمْتُ قَامَةَ الْحُلْمِ
تُجْهِشُ أَنْشُودَتِي فِي الْبُكَاءِ
مَا عَلَي نَافِذَةِ الصَّبَاحِ سِوَى
خَيْمَةِ اللَّوَى
وَمَدَائِنَ مَصْنُوعَةٍ لِلشَّقَاءِ

وَطَنُ

المُسَافِرُونَ بَحْثًا عَنِ الْحَيَاةِ

لَيْسُوا بِأَبْلَا وَطَنُ

فِي أُكْسَجِينِ الْأَرْضِ

وَفِي مَوْجِ الْبِحَارِ

وَفِي تَدْوِيرَةِ الْقَمَرِ

أَصْلُ الْوَطَنِ

الصَّفْعَة

" عِنْدَمَا هَوَّتِ الْأُمُّ عَلَى وَجْهِ طِفْلَتِهَا
بِالصَّفْعَةِ، سَبَحَتْ عُيُونَ الطِّفْلِ فِي
الْفَرَاغِ، وَبَرَّرَتْ الْأُمُّ ذَلِكَ بِالضِّيقِ
وَالْفَقْرِ "

الطِّفْلَةُ عَيْنَاهَا هَارِبَتَانِ
عَيْنٌ فِي خَدِّ الشَّمْسِ
وَأُخْرَى مُغْرَمَةٌ بِالذَّوْرَانِ

الصَّفْعَةُ جَاءَتْ مِثْلَ عُوَاءِ الذِّئْبِ

عَلَى وَجْهِ مَجْبُولٍ بِالْحِرْمَانِ

لَا تَدْرِي كَيْفَ تَخَطَّاهَا اللَّوْنُ

وَرَائِحَةُ الْعِطْرِ

وَوَطْعُ الدِّفْءِ

وَكَيْفَ تَجِيءُ الْقُبْلَةَ مِنْ أُمَّ مُتْرَفَةَ

وَأَبِ مَصْقُولِ الْأَسْنَانِ

الطِّفْلَةُ عَيْنَاهَا هَارِبَتَانُ

بِنْتُ السَّنَوَاتِ الْخَمْسِ

تَعْبُ الصَّفْعَةَ شَاخِصَةً فِي الْأُفْقِ

وَضَمِيرِي وَتَرَحُّنِ

فَمَا أَعْرِفُنِي فِي الْفَوْضَى

مَا أَكْثَرَهُمْ

حِينَ يَجِيءُ الْغَيْمُ

وَمَا أَبْعَدَنِي

حِينَ تَضِيعُ الشُّطَّانُ

رِكَابُ الْأَحْبَةِ

أَفَاقَتْ رُؤَايَ وَغَامَتْ عُيُونِي
وَسَارَتْ رِكَابُ الْأَحْبَةِ دُونِي
وَمَا زِلْتُ أَنْظُرُ حَتَّى تَعَدَّتْ
غَمَامَ السَّمَاءِ وَحَدَّ الْجُنُونِ
إِذَا هَاجَنِي الشَّوْقُ ضَيَّعَتْ دَرَبِي
فَكَيْفَ عَسَايَ أُدَارِي شُجُونِي

ضَرَبْتُ عَصَايَ وَأَذْرَكْتُ أَنِّي
عَلَى الصَّبْرِ جَلْدٌ وَلَوْ يَحْرِقُونِي
أَيْمَمٌ شَطَرَ هَوَايَ الْجَرِيحِ
وَحَيْثُ نَظَرْتُ أَرَاكَ تَكُونِي
رَحِيلُكَ عَنِّي فَضَاءٌ لِدَمْعِي
وَصَمْتِي الْمَعْنَى وَقَلْبِي الْحَزِينِ
تَوَاصَيْتُ بِالصَّبْرِ حَتَّى أَبَانِي
وَأَطْفَأْتُ شَمْعِي وَمَاتَتْ سُنُونِي
أَرَاكَ أَرَاكَ عَلَى الدَّرْبِ دَوْمًا
كِتَابَ الْحَيَاةِ وَسِفْرَ الْحَنِينِ
وَأَعْرِفُ أَنِّي بَعِيدٌ بَعِيدٌ
وَلَكِنَّ رُوحِي تَبْتُ أَنِّي

أقارِعُ صَمْتِ الرِّجَالِ الكِبَارِ

وأبْكِي الإِبَاءَ إِذَا حَانَ حِينِي

وادي الزواحف

حَدَّثَنِي رَفِيقُ الْخَمْرِ عَنْ وَادٍ

نَمَتْ فِيهِ الزَّوَاحِفُ

فَاخْتَنَقَ الدُّورِيُّ

وَأَشْتَعَلَ الزَّمَنُ

غَابَة

هَاهُنَا نَبْضِي فَعُدِّي

مِنْ دَمِي دَهْرًا

وَصُدِّي

لَا فَضَائِي عَادَ رَحْبًا

لَا مَسِيرِي عَادَ يُجْدِي

حَيْثُمَا يَمَّمْتُ وَجْهِي

غَابَةٌ قَبْلِي وَبَعْدِي

قَمَرُ الْمُسْتَحِيلِ

لَأَنِّي أَعُودُ لِعُشِّي جَرِيحًا
أَلْمَلِمُ زُرْقَةَ ذَاكَ السَّرَابِ الْبَعِيدِ
أَرَاكَ أَمَامَ عَيْونِي
تُطَلِّينَ فِي ثَوْبِ عَيْدِ

وَأَجْمَعُ مِنْ زَهْوِ عَيْنَيْكَ عِقْدًا

وَأُغْنِيَةً

وَأَغْفُو

وَمَا بَيْنَ جَفْنِي وَعَيْنِي

يَنَامُ النَّشِيدُ

لَأَنِّي جَمَعْتُ فُصُولَ الرَّحِيلِ

وَصَوْتَ السَّنَابِلِ فِي غَبَشِ الذَّاكِرَةِ

أُرِيدُكَ قَمَحًا

شِرَاعًا لِعَيْنِي

يُضِيءُ الْمَوَانِيَّ عَشْقًا
وَيُطْفِئُ لُظَى الْخَنَاجِرِ فِي الْخَاصِرَةِ

لِأَنَّ الْمَسَافَةَ جَمْرٌ
وَقِيثَارَتِي قَلَمِي
مَزَجْتُ الْحُرُوفَ بِدَمْعِي
وَأَشْهَرْتُ فِي وَجْهِهَا أَلْمِي

لِأَنَّ عِيُونَكَ حَقْلٌ
عَلَى رَبْوَةٍ

فِي قَمَرِ الْمُسْتَحِيلِ
شَرِبْتُ الْمَوَانِيَّ بَحْثًا
وَجَبْتُ الْمَسَالِكَ شَوْقًا
وَلَمَّا أَطَلَّ بِهَاؤُكِ
ضَاعَ الطَّرِيقُ
وَضَاعَ الدَّلِيلُ

الأعمال الشعرية الكاملة حتى عام ٢٠١٨ علي طه النوباني

ديوان عندما نقتت علينا الريح

منشورات وزارة الثقافة الأردنية

المفرق مدينة الثقافة الأردنية عام ٢٠١٧

الأعمال الشعرية الكاملة حتى عام ٢٠١٨ علي طه النوباني

خُذْلَانُ

الذَّئْبُ العَنْزَةُ

كَانَ مَعِيَ ذَيْبًا

وَكَانَ فَرِيْسَةً كَلْبٍ أَسْوَدُ

عَيْنَاهُ الوَاهِيَتَانُ

تَجْعَلُهُ أَرْجُوْحَةً شَبِيْحَ نَائِمٍ

يَوْمًا يَفْتَرُسُ اللَّيْلَ

وَيَوْمًا يَتَعَمَّدُ فِي مَاءِ الخُذْلَانِ

الوجهُ الثاني

بِوَجْهِهِ الثَّانِي

الْوَجْهِ النَّاعِمِ لِلضَّحِيَّةِ

بَكَى حَتَّى رَأَيْتُ أَحْزَانِي ضَبَابًا

وَيَدِي بِنَدْقِيهِ

الشُّوكُ جَمِيلٌ أَيْضاً

تُعْجِبُنِي

حِينَ تَعُودُ لِأَصْلِكَ

تَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ مَا مِثْلِكَ

تَتَأَرَّجِحُ بَيْنَ الْأَغْصَانِ

وَتَكْسِرُ حَبَّاتِ الْجَوْزِ بِصَوْتِكَ

وَأَنَا

تَتَسَاوَى الْوَجْهَاتُ لَدَيَّ

سَأَكْسِرُ بِوَصَلَتِي

وَأَطِيرُ بَعِيدًا

أَيَّا كَانَ الدَّرْبُ

سَأَعْرِفُ مَا لَمْ أَتَخَيَّلْ يَوْمًا

فَالشُّوكُ جَمِيلٌ أَيضًا

الكَاهِنُ وَالكَلِمَاتُ

يَنْتَحِرُ الصَّمْتُ

وَتَحِبُّو الْكَلِمَاتُ

وَالْبَاكِي قُرْبَ خُوءِ الرَّحَلَةِ

يَتَجَرَّعُ نَارَ التُّرَهَاتِ

أَشْبَاحًا كَانُوا

وَلِقَاءِ الْأَصْحَابِ عَلَى بَابٍ وَتَرِيٍّ

يَتَمَطَّى مِثْلَ الْمَوْجِ

هُنَاكَ بَعِيدًا

يَسْمَعُ هَمْسَ الطَّرِيقَاتِ

كَمْ دَاعَبَ صَمْتِي وَجْهَكَ

يَا تَرَحَالِي الظَّامِيَّ

يَا وَجْهًا أَبَدِيًّا مَسْكُونًا بِالْعَبْرَاتِ

يَنْتَحِرُ الصَّمْتُ

وَتَحْبُو الْكَلِمَاتُ

وَالكَاهِنُ يَتَفَرَّسُ فِي الصُّورَةِ

مَطْرٍ يَشْرِبُهُ الرَّمْلُ

وَرَمْلٌ يَتْبَعُثُرُ فِي الشُّرْفَاتِ

سَيْفٌ يَتَوَعَّلُ فِي الْقَلْبِ

وَنَارٌ تُضْرَمُ فِي الْبَاحَاتِ

كَانَ ذَكِيًّا جِدًّا

لَكِنَّ الْبَابَ كِتَابٌ لَا يَفْتَحُ إِلَّا لِلصُّدْفَةِ

كَيْفَ يُغْنِي؟

كَيْفَ يُرْتَلُ بَعْضَ نَشِيدٍ؟

وَلِسَانُ الصُّبْحِ مَلِيٌّ بِاللَّكَنَاتِ

نَامَ الْكَاهِنُ

كَانَتْ كَلِمَاتٌ أُخْرَى تَسْبِحُ فِي الْفَوْضَى

تَتَرَنِّحُ مِثْلَ صَبِيٍّ مَتَعُوسٍ

أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ

وَلَمْ يَقْطِفْ مِنْ شَمْسِ الظُّهْرِ سِوَى الْحَسَرَاتِ

قِصَصُ الدُّوَارِ

نَامَ الْمُسَافِرُ قُرْبَ نَافِذَةِ الْقِطَارِ

لَعَقَ الْمَسَافَةَ وَانْحَنَى

وَتَنَاسَلَتْ فِي رَأْسِهِ قِصَصُ الدُّوَارِ

الْخُبْزُ خَانَ الْقَمْحَ حِينَ رَأَى السَّرَابَ

اللَّيْلُ خَانَ الصُّبْحَ حِينَ دَوَى الذُّبَابُ

وَالْبَرْدُ أَيَّنَعَ فِي مَتَاهَاتِ الْغَرِيْقِ

فِي الْمَقْعَدِ الْجِلْدِيِّ تَشْتَعِلُ الْبُرُودَةُ

مِثْلَ زَوْبَعَةِ النَّدَمِ

وَجَعْتُ تَطَايِرَ كَالْغُبَارِ

عَتَمْتُ تَكْوَمَ فِي الْمَدَارِ

دَرَبٌ يُسَافِرُ فِي الْعَدَمِ

وَالْوَحْشَةُ الْأُولَى تَنَامُ عَلَى الطَّرِيقِ

تَمْشِي عَلَى الْأَشْوَاكِ حَافِيَةَ الْقَدَمِ

وَصَحَا الْمُسَافِرُ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا سِوَى

كَأْسٍ تَشَكَّلَ مِنَ الْمَمِّ

حِكَايَةُ الْأَيَّامِ

يَكَادُ الْقَلْبُ مِنْ وَجْدٍ يَذُوبُ

بِرِيءٍ لَيْسَ تَبْرَحُهُ الذُّنُوبُ

خَيَالَاتٌ أَدَاعِبُهَا بِصَوْتِي

إِذَا نَضَبَتْ يُبَدِّدُنِي الشُّحُوبُ

وَوَجْهَكَ بَاتَ تَرَحُّلاً بَعِيداً

تَضِيعُ عَلَيَّ مَسَالِكِهِ الدُّرُوبُ

كَأَنَّ حِكَايَةَ الْأَيَّامِ نَارٌ

تَأَجَّجُ عِنْدَمَا يَأْتِي الْغُرُوبُ

كَأَنَّ تَمِيمَةَ الْعُشَّاقِ طَوْقٌ

تُؤَلِّفُهُ الْمَوَاجِعُ وَالْكُرُوبُ

وَزَنْبَقَةٌ رَأَيْتُ اللَّوْنَ فِيهَا

كِتَابًا بَيْنَ أَحْرَفِهِ حُرُوبُ

تُضِيءُ لِبُرْهَةٍ وَتَضِيعُ أُخْرَى

فَيَسْحَقُنِي التَّوَدُّدُ وَالْجُدُوبُ

جَمَعْتُ الْعُمَرَ فِي كَأْسِ الْإِيَابِ

وَأَقْسَمْتُ الزَّنَابِقُ لَا تَكُوبُ

كَأَنَّ حِكَايَةَ الْأَيَّامِ ثَلْجٌ

يَذُوبُ إِذَا تَجَمَّدَتِ الْقُلُوبُ

كَأَنَّ حِكَايَةَ الْعُشَّاقِ سَطْرٌ

تَمَرُّغُهُ الْأَوَابِدُ وَالسُّهُوبُ

تَضِيْعٌ عَلَى مَوَاجِعِهِ الْأَغَانِي

وَيَهْرُبُ مِنْ مَهَالِكِهِ الْهُرُوبُ

وَلَيْلٍ كَانَ أَوَّلُهُ مَسَاءً

رَمَتَهُ بِوَابِلِ الصَّمْتِ الْغُيُوبُ

تَحَادَثَتِ النَّوَافِذُ أَنَّ فَجْرًا

أَطَلَّ فَجَاءَ آخِرُهُ الْغُرُوبُ

حَمَائِمُهُ تُسَافِرُ قُرْبَ رُوحِي

وَأَنْجَمُهُ عَلَى صَوْتِي نَدُوبُ

وَسَارِيَةٍ تَأَجَّلُ مِثْلَ مَوْجٍ

تَسَاوَقَ فَوْقَهُ أَفْقٌ رَحِيبُ

تَشُدُّ الْقَلْبَ فِي وَصْلِ وَنَأْيِ

وَطَلَعَتْهَا مُجَنِّحَةً عَرُوبُ

كَمَا قَمَرَ تَسَابِقُهُ اللَّيَالِي

فَيَسْبِقُهَا وَيَطْلَعُ لَا يَغِيبُ

فَقُلْتُ لَهَا تُحْمَلِقُ فِي فُضَائِي

لَعَلَّ فُلُولَ أَقْدَارِي تُجِيبُ

فَقَالَتْ كَيْفَ تَلْتَمِسُ الْأَغَانِي

وَكَأْسُ الْعُمْرِ أَنْوَاءٌ لَعُوبُ

تُرِيدُ حِكَايَةً وَتَنَالُ أُخْرَى

فَتَجْرَحُكَ الْبَرَاثِنُ وَالنُّيُوبُ

كَأَنَّ حِكَايَةَ الْإِنْسَانِ سَطْرٌ

يَخِيطُ حُرُوفَهُ دَمْعٌ سَرُوبُ

كَأَنَّ بَرَائِنَ الْأَيَّامِ وَحَشُّهُ

وَبَيَدْرُهُ الْعَوَاطِفُ وَالْقُلُوبُ

كَأَنَّ الْأَرْضَ تُنْبِتُنَا زُهُورًا

فِيحْصِدُنَا التَّجَهُمُ وَالنَّحِيبُ

أَقُولُ لِهَيْمَتِي شُدِّي وَثَاقِي

فَهَذَا الدَّرْبُ أَفَّا قُ كَسُوبُ

أَقُولُ وَقَدْ تَمَلَّكَنِي اغْتِرَابِي

وَرَا حِلَّتِي تَوَارَثَهَا شُعُوبُ

إِذَا اشْتَعَلَتْ جَوَانِحُكَ اشْتِيَاقًا

وَكَبَلَكَ النَّوَى وَثَوَى الْقَرِيبُ

فَمَا نَفَعُ الْمَجِيءِ بِغَيْرِ حَظِّ

سِوَى سَهْمٍ يَطِيرُ وَلَا يُصِيبُ

وما شَغَفُ المُفَارِقِ بالتَّداوي

إِذَا وَصَفَ الفِرَاقَ لَكَ الطَّبِيبُ

وَكَأْسِ غَيْمَةٍ هَطَلَتْ عَلَيْهَا

رِيحُ نَدَى فَبَاحَ لَهَا الغَرِيبُ

تُرِيكَ العُمَرَ فِي قَدَحِ صَغِيرِ

مُشَعَّعَةٍ أَنَامِلُهَا تُرِيبُ

يَجِيءُ الفَجْرُ أَشْجَارًا وَمَاءً

يُغْنِي والنَّوَارِسُ تَسْتَجِيبُ

يَضِيعُ اللُّوزُ فِي رَمْلِ اللَّيَالِي

فَيَخْتَلِطُ المُنَاكِدُ والحَبِيبُ

فَهَذَا الرَّأْسُ ثَالِثَةُ الأَثَافِي

وَهَذَا العَمْرُ دِيدَنُهُ عَصِيبُ

سَجَالٌ لَيْسَ يَصْنَعُهُ اقْتِدَارٌ

وَفَوْزٌ لَيْسَ يَحْصِدُهُ الْأَرَيْبُ

كَكَافِلَةٍ تَجُوبُ الْأُفُقَ حَتَّى

تَبُوءَ بِمَا يُخَلِّفُهُ اللَّهُيبُ

فَلَا قَدَمٌ تَسِيرُ إِلَى الْأَمَانِي

وَلَا خَصْمٌ لَهُ قَلْبٌ مُنِيبُ

هِيَ الدُّنْيَا مَرَاثِمُهَا ظَلَامٌ

يُضِيءُ عَلَى أَوَاخِرِهِ الْمَشِيبُ

المُسَافِرُ والطَّرِيقُ

حَبِيبِي

فِي حَضْرَتِكَ

تَنْزَاحُ عَن عَيْنِي الْغِشَاوَةُ

تَنْجَلِي بِالْقُرْبِ مِنِّي

كُلُّ أَشْيَائِي الْحَبِيبَةَ

شَجَرُ المَرَانِي

وَالنَّوَارِسُ

وَالمَدَى

أَسْتَوْقِفُ اللَّحْظَاتِ كَيْمَا أَرْقُبُ القَمَرَ الَّذِي

رَشَفَ الصَّبَاحَ، وَجَاءَنِي فَرِحًا

عَلَى جَنَحِ السُّكُونِ

أَسْتَوْقِفُ اللَّحْظَاتِ كَيْمَا أَجْمَعُ الكَلِمَاتِ

مِنْ أَلْقِ العُيُونِ

وَأَنْتَقِي قَدْرِي عَلَى مِحْرَابِ رَوْحِكِ مَرَّةً

نورًا تَقَاطِرَ مِنْ مَفَاتِنِ بَسْمَتِكَ

أَلْقَا تَضَوَّعَ فِي المَدَى

مُتَوَاضِعًا فِي حَضْرَتِكَ

نَسَقًا سَمَاوِيًّا شَفِيفًا
يُرَوِّي الْحَيَاةَ كَمَا بَدَتْ فِي هَيْئَتِكَ

قَالَ الْمُسَافِرُ إِنَّهُ
سَمِعَ الْمَسَافَةَ تَنْحِنِي
فَبَنَى شِرَاعًا مِنْ عُيُونِ الْعَاشِقِينَ
وَرَأَى الْبَحَارَ تَقُولُ: لَا
فَاسْتَنْبَتِ الْكَلَهَاتِ مِنْ وَجَعِ السِّنِينَ
وَرَأَى الْحَنِينَ مُسَافِرًا فِي رُكْبِهِ
فَرَمَى الْمَتَاعَ
وَسَارَ فِي رُكْبِ الْحَنِينِ

خَجِلُّ أَنَا مِنْ غَفَلَتِي
لِيْمُونَةٌ صَفْرَاءُ تَسْحَقُنِي
وَيَحْرِقُنِي الذُّهُولُ
بَعْضُ الْوُجُوهِ تَغَيَّرَتْ
بَعْضُ الْمَلَامِحِ أَقْفَرَتْ
بَعْضُ الْأَغَانِي أَصْبَحَتْ نَقْشًا
عَلَى سِفْرِ الذُّبُولِ
إِلَّاكَ أَنْتِ تَعَاوِدِينَ الْعُمْرَ مِثْلَ بِنَفْسِجٍ
يَنْسَابُ فِي جَسَدِ الْفُصُولِ

قَالَ الْمُسَافِرُ إِنَّهُ
فَقَدَ الْكَلَامَ

وَلَمْ يَعُدْ يَحْكِي كَمَا يَعْنِي

لِسَانِي بَيَدْرُ

وَالْأُفُقُ رِيحُ!

قَالَ الطَّرِيقُ بَأَنَّهُ

كَتَبَ الْمَدَى شِعْرًا

وَأَنْشَدَ لِلنُّجُومِ لِيَسْتَرِيحَ

قَالَ الْمُسَافِرُ إِنَّهُ

لَمَّا عَلَا الْأَمْوَاجَ شَاهَدَ كَوْكَبًا

مِنْ وَجْدِهِ

فَوْقَ الْغُيُومِ

وَوَغَابَ فِي الْأُفُقِ الْجَرِيحُ

قَالَ الطَّرِيقُ: رَأَيْتُهُ

لَمْ يَبْتَعِدْ
لَكِنَّهُ وَسِعَ الْمَدَى
وَاسْتَوَطَّنَ الْأُفُقَ الْفَسِيحَ

حَبِيبَتِي
قَوْلِي لَهُمْ
أَنَا مَا نَضَجْتُ لِكَيْ أَمُوتَ
رُوحِي مَرَاغِي لِلْهُوَى
وَدَمِي بِيوتِ
حِينَ اسْتَفَاقَ عَلَيَّ فَمِي

حَرْفٌ نَدِيٌّ

ضَجَّ الصَّبَاحُ وَأَوْرَقَتْ

نَارُ التَّوَجُّسِ وَالسُّكُوتِ

قولي لهم

هذا الصَّبَاحُ حِكَايَتِي

طِفْلي المُدَلَّلُ فَوْقَ أَجْنِحَةِ الضِّيَاءِ

شَجَرِي الجَمِيلُ

يَحُومُ فِي غَبَشِ الفَضَاءِ

وَمَسَافَةٌ تَعْرِفُنِي

تَتَرَدَّدُ الأَشْيَاءُ فِيهَا بَيْنَنَا

وَأَعِدُّ نَبْضِي

كِي أُحَلِّقُ فِي السَّمَاءِ

قَالَ الْمَسَافِرُ إِنَّهُ

فِي حَضْرَةِ الْعِشْقِ يَخْتَزِلُ الزَّمَنُ

وَيَرَى الَّذِينَ تَفَرَّقُوا

بَيْنَ الْمَرَاغِيِّ وَالْمِحْنِ

قَالَ الطَّرِيقُ: رَأَيْتُهُمْ

كَانَ الضَّبَابُ يُذِيبُ أَوْرِدَاتِي فَلَا

أَتَبَيَّنُ الْأَشْيَاءَ

مِنْ فَرَطِ الشَّجَنِ

حَبِيبَتِي

بَيْنَ الْمُسَافِرِ وَالطَّرِيقِ حِكَايَةٌ
شَجَرٌ يَخِيطُ الْأَرْضَ بِالنَّجْمَاتِ، مَاءٌ
يَعُودُ كَمَا النَّهَارُ
قَدَمٌ عَلَى شَوْكِ الْحِجَارَةِ تَنْثَنِي
حَجْرٌ عَلَى بَرْدِ الْمَسَافَةِ يَنْحَنِي
نَارٌ عَلَى صَوْتِ الدَّقَائِقِ
تَشْتَهِي لَوْنَ الرَّمَادِ
هِيَ قِصَّةٌ
لِكِنَّهَا
وَجَعُ الشَّرَاعِ إِذَا الْمَرَايِيُّ كُتِّهَا
عَزَفَتْ لَحْنَ السُّهَادِ
هِيَ قِصَّةٌ

لكنَّها

أَحَلَّ القَصَائِدِ فِي ثَنَائِ رَوْعَتِكَ

وَجَعُ المُسَافِرِ والطَّرِيقِ

عِنَاقُ فِي حَضْرَتِكَ

جرش ١٤-٩-٢٠٠٩

فَرَاشَتِي الْحَبِيبَةَ

يَوْمًا سَأَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ فِي الطَّرِيقِ
إِلَّا الْفَرَاشَةَ وَهِيَ تَرَسُمُنِي
وَتَعْلُو فِي دُمُوعِ كَالْحَرِيقِ
وَلَسَوْفَ أَهْدِيهَا الْقَصِيدَةَ
وَالْمَشَاعِلَ وَالرُّؤْيَى
وَلَسَوْفَ تُهْدِينِي الصَّدِيقِ

وَلَرُبَّمَا فِي رِحْلَةٍ
تَتَدَوَّرُ السَّاعَاتُ فِي بَرْدِ الْمَدَى
فَأَضْمُهَا
حَتَّى يَذُوبَ الْوَقْتُ فِي شَفْتِي
وَنَسْكُنَ فِي الْبَرِيقِ
وَلَرُبَّمَا تَتَذَكَّرِينَ حِكَايَتِي
وَالدَّرْبُ يَلْهَوُ بِالْأَغَانِي
وَالْمَدَى حُرٌّ طَلِيقٌ
قَوْلِي لَهُمْ
لَا شَيْءَ يَكْتُبُهُ الْمُسَافِرُ
غَيْرَ أَحْلَامٍ تَضِيقُ

قِرَاءَةٌ فِي كَفِّ حَبِيبَتِي

لَا الْوَجْدُ يُغْفِلُنِي وَلَا نَتَسَاوَرُ

شَوْكِي وَوَرْدُكَ مَوْطِنٌ وَمُسَافِرٌ

لَا الْقَمْحُ أَفْضَى بِالْحِكَايَةِ لِلْمَدَى

لَا الْخَيْلُ قَالَتْ مُهْرَتِي سَتُغَادِرُ

لَكِنَّ كَفِّكَ أَشْعَلَتْ فِي الرَّؤْيِ

فَرَأَيْتُنَا فِي خَلْوَةٍ نَتَحَاوَرُ

عَرَفَ الصَّبَاحُ لَظَاكَ تُوقِدُ أَدْمَعِي

فَأَتَى بِصَوْتِكَ فِي رُؤَايَ يُغَامِرُ

عَرَأَفَتِي شَهِدَتْ عُيُونِكَ فِي دَمِي

وَطَنًا، وَقَالَتْ: أَيُّهَذَا الحَائِرُ

العِشْقُ مَنْزِلَةٌ إِذَا بُلِّغْتَهَا

أَنْسَتَ نُورًا فَوْقَ رُوحِكَ يُمَطِّرُ

وَلَقَدْ عَرَفْتُ العُمْرَ يَمْشِي مُسْرِعًا

لَكِنَّ قَلْبِي فِي هَوَاكَ مُقَامِرُ

وَرَأَيْتُنِي بَيْنَ المَعَابِدِ أَصْطَلِي

نَارَ الهَوَى وَمَرَأَفَتِي تَتَشَاجِرُ

بَعْضِي حِكَايَةٌ عَاشِقٍ بَعْضِي رُؤَى

لَكِنَّ كُلِّي فِي مَدَارِكَ حَائِرُ

لَيْتَ الدُّرُوبَ إِذَا خَلَّتْ أَرْجَاؤُهَا

مِنْ طَيْفِ نَوْرِكَ تَمَّحِي وَتُغَبَّرُ

لَيْتَ الهمومَ إِذَا أَتَتْكَ حَبِيبَتِي

تَنْسَلُّ مِنْ رُوحِ الحَايَةِ وَتَضْمُرُ

يَا مَنْ نِدَاؤُكَ يَسْتَبِيحُ جَوَانِحِي

أَنْتِ المَدَى وَأَنَا لِصَوْتِكَ زَائِرُ

البحرُ والرَّمال

كفَراشَةٍ رَشَفَتْ جَوانِحِها المَدى

رَمَشَتْ فَأَخَجَلتِ المَساءَ تَوَدُّداً

البحرُ قَصَّتْنا سَفائِنُنا التي

نَهوى اللِّقاءَ بِها فَنَرَحَلُ أَبَعدا

وَتَظَلُّ أَيْدِينَا تُلَوِّحُ دَائِمًا

عَلَّ انْحِسَارَ الْمَوْجِ يَضْرِبُ مَوْعِدَا

الْقَلْبِ يَرْسُمُ أَنْجَمًا وَلَهَانَةً

وَالْمَوْجُ يَمْسَحُ قَبْلَ أَنْ نَتَعَوَّدَا

أَوْكَلَّمَا نَظَرْتَ تُوجِّجُ قِصَّةً

كَالْوَرْدِ يَعْرِفُهُ الصَّبَاحُ مَعَ النَّدَى

قَالَتْ لِي: الصَّحْرَاءُ قَاحِلَةٌ وَمَا

أَتَخَيَّلُ الرَّائِي لِيُدْرِكَ مَوْرِدَا

وَرَأَيْتُ أَدْمَعَهَا شِرَاعًا لِلرُّؤْيَى

تَمْضِي مَعَ الْأَرْيَاحِ ظَبْيًا شَارِدَا

تَنْسَابُ فِي شَجَنِ فَتَهْبِطُ لَوْعَتِي

قَمْرًا يُغَازِلُهَا وَيَجْلِسُ عَابِدَا

فَتَكَلَّمْتُ رُوحِي بِأَنَّكَ جَنَّتِي

وَمَدَائِنُ الدُّنْيَا تُضِيءُ عَلَي الصَّدى

الرَّمْلُ فِي الصَّحْرَاءِ يُصْبِحُ لَوْلَا

إِنْ زَيْنَتْ قَدَمَاكَ بِالخَطِّو المَدَى

فِي عَيْنِكَ

فِي عَيْنِكَ الدافئتين

هَمْسٌ لِرَبِيعِ آتٍ

قُرْبَ الخَدَّيْنِ

فِي صَوْتِكَ أُغْنِيَةً

وَمَلَاكٍ

يَسْكُنُ فِي قَمَرَيْنِ

قَمْرًا خَشِيَ أَنْ أَعْشَقَهُ

وَالْآخِرُ

يَجْعَلُ مِنْ عُمْرِي عُمْرَيْنِ

عِنْدَمَا نَقَمْتَ عَلَيْنَا الرِّيحَ

(١)

قُرْبَ وَاحِدَةٍ مِنَ الْإِشَارَاتِ الْحُمْرَاءِ

دَائِمًا

كَانَ قِرْدٌ يَلْعَقُ الزَّفْتَ

وكانت آرمات المحلاتِ والمطاعمِ تَمَسُحُ الألوان

رَجُلٌ بِلا مَلامِح

وَأُنثى صارِخة

كانا ضائعينِ بِلا طَريق

مَلِكٌ قَدِيمٌ كانَ يَشْتري البَطاطا المَقْلِيَّة

وكانَ الزَّيتُ يَقْطُرُ فَوْقَ وُجوهِ غائِمَة

سَيِّدَةٌ عَجوزُ أَطْلَقَتْ صرِخةً مُدَوِيَّة

أَيْنَ الشَّاطِئُ

أَيْنَ مَلامِحِ الجَمِيلَة

قالَتْ لَها الأَشياءُ (أَعْمَدَةُ الهاتِفِ والبُرْتقالِ):

شَعْرُكَ الأَشيبُ

كانَ أَشجاراً تُطِيحُ بالقَمَرِ

قُدُّكَ المُمَزَّقُ كَانَ زَوْرَقًا يَضِيعُ فِي غِيَاهِبِ المُحِيطِ

كُنْتُ أَوَّلَ الحُقُولِ

وَأَخْرَ الصَّحَارَى

(٢)

قُرْبَ وَاحِدَةٍ مِنَ اللَّيَالِي البَائِسَاتِ

كَانَ مَسَاءً يُفَكِّرُ إِلَّا يَعُودُ

هَبَطَتْ نَجْمَةٌ

فَاسْتَوْحَشَتْ شَجَرَةَ

وَأَقْتَلَعَتْ مِنْ رُوحِهَا وَطَنًا

صَارَتْ أَغْصَانُهَا أَرَاجِيحَ لِفَرَاشَاتٍ عَلِقَتْ فِي بَرَاثِنِ

الْأَيَّامِ

قُلْتُ لَهَا: غَدًا كَانَ جَمِيلًا

لَكِنَّهُ فَوْقَ أَغْصَانِهَا بَاحٌ فَاحْتَرَقُ
قُلْتُ لَهَا: حَدِيقَتِي خَلْفَ عَيْنَيْكَ فَاقْتَرِبِي
نَجْمَعُ الزَّهْرَ وَنَهْدِيهِ لَلْمَسَاءِ
قُلْتُ لَهَا: مَا يُضِيرُ اللَّيْلَ لَوْ جِئْنَا مَعَا
وَذَابَ الْبَنْفَسِجُ قُرْبَ أَعْيُنِنَا الْحَزِينَةَ؟
سَمَاؤُكَ كَأَنْتَ تَعُجُّ بِالْعَرَبَاتِ
وَالشُّوكُ كَانَ مُنْغَرِزًا فِي اللَّقَاءِ
طَرِيقُكَ كَأَنْتَ خَيْطًا عَلَى نَارِ التَّوَجُّسِ
ضَاعَتْ بَيْنَ أَشْعَّةِ نَجْمٍ غَرِيبٍ

(٣)

قُرْبَ شَهْوَةٍ كَانَ الْكَلَامُ مُخْتَلِطًا
وَالْحُرُوفُ تَلْتَوِي مِثْلَ الْمَعْكُونَةِ
حِصَانٌ يُسَابِقُ حَتَّى يَرَى ذَيْلَهُ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ
مَاذَا يَقُولُ الْقَائِدُ الْمَشْهُورُ
كَيْفَ يُلَوِّحُ لِلْعَائِدِينَ
بَعْضُ الْمَرَايَا تُجِيزُ الْبُكَاءَ إِذَا مَا عَجِزَتْ عَنِ الْوُقُوفِ
وَبَعْضُهَا تُجِيزُ الْإِنْتِحَارَ
بَعْضُ الْحِكَايَاتِ تَقُولُ بِأَنَّنا جِئْنَا لِلصَّوَابِ
وَبَعْضُهَا تَصْنَعُ مِنْ وَجَعِ الْحِصَانِ حَيَاةً لِلْكَلابِ
بَعْضُ الْأَغَانِي تَعْرِفُ شَهْوَةَ الْكَلِمَاتِ لِلْبُوحِ
وَبَعْضُهَا تَكْتُبُنَا بِالرَّمَادِ

(٤)

قُرْبَ مَوْعِدٍ لَمْ يَكْتَمِلْ
شَاهِدَتْهَا تَتَكَثَّرُ مِثْلَ الْأَمِيْبَا^١
رَأَيْتُ الْغَرِيْزَةَ تَزْحَفُ مِثْلَ تِمْسَاحٍ عَظِيمٍ
كَانَ لُعَابُهَا لَزْجًا
وَصَوْتُهَا زَلْقًا
قُلْتُ لِنَفْسِي تَوَقَّفْ
مَا الَّذِي جَمَعَ النَّوَارِسَ قُرْبَ طَلْعَتِهَا؟
كَيْفَ خَالَتْ عَلَيْكَ؟
كَيْفَ خَالَتْ عَلَى النَّحْلِ أَشْبَاهُ الزُّهُورِ؟

^١ أمييبا: كائن حي أحادي الخلية من الطفيليات.

(٥)

قُرْبَ أُغْنِيَةٍ
تَسَكَّعَ وَاِبِلٌ مِنْ عِنَبِ الْجِبَالِ الْبَارِدَةِ
كَانَتْ أَصَابِعُ التَّلَالِ تَعَصْرُهُ فَيَجْرِي
مِثْلَ سَاعَةٍ نَسِيَتْ عَقَارِبَهَا
نَقَمَتْ عَلَيْنَا الرِّيحُ
فَانكَسَرَ الزُّجَاجُ
لَا حَقَائِبَ
لَا أَغْنَانِي
لَا قِمَاشًا نُلُونُهُ فَنَعْرِفُ صَوْتَنَا

(٦)

قُرْبَ نِهَائِهِ خَشْبِيَّةً

كُنْتَ ذَاهِلًا

تَعْوِي بِمَنْزِلِكَ النَّوَافِدُ

كَانَ شَخِيرُ النَّائِمِينَ يُثِيرُ زَقَزَقَةَ الْأَبْوَابِ الْقَدِيمَةِ

وَكَانَتْ إِلهَةُ الْحُبِّ تَعُدُّ النُّقُودَ

جَذَبَ الْحُلْمُ لِسَانَ الْحِكَايَةِ

أَوْدَعَهَا فِي خَرِيفِ الْوَجَعِ

وَمَضَى يَجْمَعُ الْأُفُقَ

وَيَبْحَثُ عَنْ طَرِيقِ

(٧)

قُرْبَ صَمْتِ الْقُبُورِ
كَانَ ضَجِيجُ الْمَوَاسِمِ يَحْتَفِي بِالْمَوَاعِيدِ الَّتِي نَسِيَتْهَا
حَبَّاتُ الْمَطَرِ
كُنْتُ أُرَدِّدُ: لَا لِلْغِيَابِ
وَكَانَ الْمَسَاءُ يُقَلِّبُ الْبُومَ الصُّورَ
نَامَ النَّخِيلُ عَلَى وَجَعِ الصَّحَارَى
وَتَجَمَّدَتْ عَيْنِي قُرْبَ نَافِذَةِ الصَّجَرِ

(٨)

قُرْبَ خَيْمَتِنَا كَانَ مِزْرَابُ السَّمَاءِ يُدْمِمُ
بَابَنَا كَانَ مَفْتُوحًا لِلْبِنَايَاتِ الشَّاهِقَةِ

وَعْيُونُنَا كَانَتْ بَيَدْرًا لِلْمَعَادِنِ

الْمَخْدَةُ صَعْقَةٌ كَهْرَبَائِيَّةٌ

شَاشَةُ الْحَاسُوبِ تَرْحَالٌ مُمَيَّتٌ

الْنافِذَةُ تُثَقِّبُ يَغْوُصُ فِي زَيْتِ مُحَرِّكٍ مَحْرُوقِ

الْحَبِيبَةُ عَرُوسٌ تَسْكُنُ فِي سَيَّارَةٍ صَفْرَاءِ

وَرَاءَ مِقْوَدِهَا تَتَرَيِّ مَفْرُوزُ الشَّارِبِينَ

ثُوبُهَا جَلِيدٌ يَتَقَنُّ التَزَلُّجَ

صَوْتُهَا يَعْبُرُ الْوُجُوهُ مِثْلَ مِرَاةٍ

قُلْتُ لَهَا: حَمَلِقِي

لَعَلَّ خَيْمَتَنَا تُغَادِرُ نَحْوَ صَنُوبَرِ الطَّرِيقِ

قُلْتُ لَهَا: تَأَمَّلِي

لَعَلَّ فِي جَوْفِكَ كَرَزًا يُؤَجِّبُ الْأَغَانِي

لَمْ تَصْفُرِ الرِّيحُ

وَلَمْ نَكْتُبْ،

غَيْرَ أَنَّ أوراقنا كانت مُخْرِبَشَةً مِثْلَ أَغْصَانِ الشَّجَرِ

رِحْلَةٌ فِي جَسَدِ الْاِفْتِرَاسِ

ثُمَّ تَلَاشِي الْفَرْعُ الْمَخْنُوقُ عَلَيَّ أَوْجَاعَ اللَّحْظَةِ

هَلْ يَتَّبَعُ رُوحِي فِي رِحْلَتِهَا؟

هَلْ يَتَدَوَّرُ فِي ثُقْبِ أَسْوَدٍ؟

يَلَهْتُ

حَتَّى يَتَوَقَّفَ نَبْضُ الْعُشْبِ

وَمَاءُ الْغَيْمِ

وَمَعْنَى الْكَلِمَاتِ

تَتَكَشَّفُ فِي الْبُرْهَةِ كُلُّ الدُّنْيَا

كَحَرَارَةِ عُودٍ مُشْتَعِلٍ فِي ظُلُمَاتِ الرَّغْبَةِ

الْعَتَمَةُ تَأْتِي ثَانِيَةً

تَنْزِفُ بَرْقًا

صُورًا

وَفُتَاتًا مِنْ أَصْوَاتٍ

يَغْلِي الرَّأْسُ وَيَبْرُدُ آفَافُ الْمَرَاتِ

الْبَاقِي يَنْزِفُ

وَالرَّاحِلُ يَنْزِفُ

حَتَّى لَا تَعْرِفَ أَحْيَاءَ مِنْ أَمْوَاتٍ

لِقَاءُ الْعَاشِقِينَ

رَأَيْتُ طَرِيقِي قُرْبَ أَهْدَابِهَا تَجْرِي
فَقَسَمْتُ أَحْزَانِي عَلَى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَكَانَ فُؤَادِي مِثْلَ طِفْلِ مُغَامِرٍ
يُؤَلِّفُ رُوحَهُ مِنَ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ

وَكَانَ عَلَى الْأَشْجَارِ دَمْعٌ كَمَا النَّدى
وَبَابٌ عَلَى الْأَنْوَارِ يُفْضِي إِلَى السَّحْرِ
تَكْوَرُ عَشَقْنَا كَشَمْسٍ مُنِيرَةٍ
يَفِيضُ سَنَاها فِي ربيعٍ مِنَ العُمُرِ
وَكَانَ لِقَاؤُنَا وَقُوفَ مُسَافِرٍ
عَلَى طَلَلٍ رَأَاهُ فِي مِحْنَةِ الهَجْرِ
كَصُبْحٍ تَدَوَّرَتْ عَلَى هُدْبِهِ الشَّمْسُ
تَنَفَّسَ عَشَقًا ثُمَّ أَرْدَى إِلَى الفَجْرِ
فَلَيْتَ صَبَاحَ العَاشِقِينَ شُرُوقَهُ
تَجَمَّدَ حَتَّى يَرْتَوِي الكَوْنُ مِنْ صَبْرِي
وَلَيْتَ بُرُوقَ النَّبْضِ أَسْرَعُها كَمَا
تَذُوبُ الجِبَالُ فِي مَسِيلٍ مِنَ النَّهْرِ

رَأَيْتُ الْحَيَاةَ لَا تُشَاطِرُ رَأْيَهَا

تُرِيحُ لِيَوْمٍ ثُمَّ تَقْسُو كَمَا الصَّخْرِ

مَرَابِعُ جَفَّتْ مِنْ مَحَاسِنِ أَهْلِهَا

وَلَحْظَةٌ عَشِقٍ فِي دُهُورٍ مِنَ الْقَفْرِ

مَرثِيَةُ الْغَرِيبِ

تُدبِّرُ فِي جَوَانِحِكَ اقْتِرَابًا

وَتَنْزِفُ فِي مَسَاكِينِكَ اغْتِرَابًا

وَذَاكَ الْبُعْدُ مُؤْتَلِفٌ كَثِيرًا

وَهَذَا الْقُرْبُ مُشْتَعِلٌ غِيَابًا

وَبَعْضُ الْعِشْقِ تُضْرِمُهُ اللَّيَالِي

فَيَسْطَعُ فِي مَنَافِكَ انْتِحَابًا

وَبَعْضُ الْقَوْمِ تَحَسَّبُهُ قَرِيبًا

فَيَنْشُرُ فِي مَسَالِكِكَ الضَّبَابَا

تُسَافِرُ طَامِحًا لِلشَّمْسِ يَوْمًا

وَتَرْجِعُ ذَابِلًا تَرعى السَّحَابَا

وَدَرْبُكَ مَوْجَهَا بَحْرٌ بَعِيدٌ

تَحَوَّلَ عَنْكَ نَوْرُسُهُ غُرَابَا

تَظُنُّ بَرَاثِنَ الْأَشْوَاكِ فِيهَا

سُيُوفًا أَنْبَتَتْ مِنْهَا حِرَابَا

دِيَارُ الْقَوْمِ مُقْمِرَةٌ وَلَكِنْ

تَوَارَى النُّورُ فِي العَتَمِ اسْتِلابَا

فَهَذَا السِّيفُ مِرَاةً تَرَاهُ

لِوَجْهِكَ قَبْلَ أَنْ يَغْدُو سَرَابَا

وَهَذِي النَّارُ تَوْقِدُهَا لِتَصْحُو

فَتُنَبِّتُ حَوْلَهَا أَرْضًا يَبَابَا

تَبَدَّدَ حَوْلَهَا خَطْوُ كَثِيرٍ

وَسَاوَرَ أَفْقَهَا بَابًا فَبَابَا

تُحِيلُكَ مِثْلَمَا وَرَقٍ قَدِيمٍ

تَبَعَثَرَ بَعْدَمَا أَضْحَى كِتَابَا

وَقُبْرَةٌ تُغْنِي فَوْقَ قَبْرِ

يُنَاجِي الْمَوْتَ مَا رُدَّهُ احْتِرَابَا

مَرَا فِئُ أوردتنا البؤس حتى

لَيْسْنَا الهمَّ مِنْ جَزَعِ ثِيَابَا

كَأَنَّ خِيَامَنَا مِنْ قَبْلِ أَلْفِ

تَفَرَّخُ فِي مَسَالِكِنَا ذِيَابَا

تَأْكَلُ فِيهَا النَّاسُ حَتَّى

تَظُنُّ الْأَرْضَ عَامِرَةً خَرَابًا

رَأَيْتُكَ وَاللَّيَالِي مُقَمِّرَاتٌ

وَوَجْهُكَ يَا أَبِي يُحْيِي الشَّبَابَا

وَقُلْتُ بِأَنِّي تَعِبٌ وَصَدْرِي

يُمِيطُ النَّارَ عَن نَّارِ عَذَابَا

وَكَانَ الْأُفُقُ فِي وَجَعِ التَّجَلِّي

جَرِيحًا صَامِتًا أَنْفَ الْعِتَابَا

عَلَى دَرْبِ تَهَالِكٍ مِنْ خُطَانَا

وَمِنْ خَطَأٍ يُخَاتِلُنَا الصَّوَابَا

نَزَعْتُ الْغِلَّ مِنْ صَدْرِي وَلَكِنْ

تَشْطَى الْقَلْبُ فِي الْأَمْرِ ارْتِيَابَا

فَمَا أُدْرِي أَتَشْرِقُ فِي هَزِيحٍ

شُمُوسُ الحُلْمِ أَمْ تَرِثُ الغِيَابَا

دُرُوبُ العَمْرِ تُحَسِّبُهَا حَكِيمَا

إِذَا مَا مَلَّ يَحْتَرِفُ السُّبَابَا

وَحِكْمَتُنَا مَعَاوِلُ مِنْ كَلَامٍ

أَشَابَ الرَّأْسَ مِنْ عَجَبٍ وَشَابَا

خُيُوطُ النَّسِجِ وَاهِيَةٌ وَتَرَوِي

حِكَايَةَ زَارِعِ نَفْضِ التُّرَابَا

فَشَاهَدَ فِي أَنَامِلِهِ فُتُونَا

يُزِيغُ العَيْنَ مَشْهَدَهُ النِّسِيَابَا

وَلَمَّا سَارَ فِي خَيْطِ الأَمَانِي

تَمَطَّى الأَفْقُ مُحْتَرِقًا وَذَابَا

وَأَحْسَبُ أَنَّهُ صِنُو الرَّوَابِي

فَلَا جَبَلًا تَرَاهُ وَلَا هَضَابًا

أَصَابَ مَقَاتِلَ الْأَحْلَامِ شَرًّا

وَكَانَ رَمَى الْجِبَالِ فَمَا أَصَابَا

وَأَحْسَبُ أَنِّي صَمْتُ الْفَيَافِي

وَقَافِلَتِي تُقَطِّعُهَا اِكْتِئَابَا

عَلَى رَمْلٍ يُشَارِكُنِي حَنِينِي

وَيَجْمَعُ غَيْمَةً فِي الْأُفُقِ بَابَا

جرش ٢٠١٣/٤/١٥

لَوْزٌ وَدَمْعٌ

لِأَكْثَرِ مِنْ أَلْفِ مَرَّةٍ
تُلاقِي الأَحِبَّةَ بَيْنَ المَرَائِي يَوْمًا
وَيَرْتَحِلُونَ

لِأَكْثَرِ مِنْ أَلْفِ مَرَّةٍ
يَطُولُ الغِيَابُ وَيَبْقَى الجُنُونُ
لِهذِي الشَّوَارِعِ نَكْهَةٌ لَوْزٌ وَدَمْعٌ

تَضِلُّ مَدَاهُ الْعُيُونُ
لِهَٰذِي الْأَغَانِي سَفَائِنُ ضَاعَتْ
وَبَحْرِيَابَعْدُ بَيْنَ النَّدَى وَالْغُصُونِ
لِأَكْثَرِ مِنْ أَلْفِ مَرَّةٍ
يَجِيءُ الصَّبَاحُ كَفَيْفًا
فَنَحْصِدُ دَمْعًا
وَنَرَوِي ظُنُونُ
نَقُولُ التَّقِينَا
فَتَغْفُو النَّوَارِسُ فَوْقَ الصَّوَارِي
وَتَذَرُو الرِّيَّاحُ بَرِيقَ الْعُيُونِ

قَبْلَ البَرْدِ... بَعْدَ البَرْدِ

يا صاحِبي خَفَقَ الفُؤادُ عَلَي المَدَى
اللَّيْلُ صَدَّكَ والنَّهارُ تَمَرَّدًا
كَانَ التَّوَعُّلُ فِي الحَيَاةِ جَرِيرَةً
تَذُرُو البَيَادِرَ مِثْلَ أَسْيَافِ العِدا
البَوْحُ فِي زَمَنِ الرَّحِيلِ تَوَجُّعٌ
والنُّورُ فِي سَاحِ الوَغَى حَدُّ الرَّدَى

وَإِذَا الْمَرَاةُ أَسَدَتْ أَسْتَارَهَا

تَبْكِي السَّفَائِنُ فَوْقَ حَبَّاتِ النَّدى

وَإِذَا الزَّمَانُ الْمُرْحَلُ بِسَاحَةِ

مَا نَفَعُ أَنْ تَحْكِي وَأَنْ تَتَمَرَّدَا

كَالِنَارِ تَأْتِي لِلْحَيَاةِ مُجَلِّجًا

كَالشَّلْحِ تَرَحَّلُ ذَاهِلًا مُتَرَدِّدَا

مَا شِئْتَ أَفْضَى فِي طَرِيقِ فَاتِرِ

مَا لَمْ تَشَأْ يَنْسَابُ أَجُوفَ بَارِدَا

مَا كُنْتَ قَبْلَ الْبَرْدِ تَعْرِفُ لَوْنَهُ

مَا صَارَ بَعْدَ الْبَرْدِ أَجْرَدَ جَامِدَا

مَا حَاكَتِ الْأَزْهَارُ فِي أَيَّامِنَا

يَعْدُو مَعَ الْأَشْوَاكِ حُلْمًا بَائِدَا

وَتَكُونُ فِي وَجْهِ الْمَصَاعِبِ جُثَّةً

فَيَظُنُّكَ الرَّائِي تُقَاتِلُ صَامِدًا

لَا غُرُوَ أَنَّكَ فِي مَتَاهِ سَابِحٌ

تَمْشِي وَتَمْشِي فَوْقَ خَارِطَةِ السُّدَى

كأس آخِرٍ من بيروت

سَرَى في وَجْهِ خَدْرٍ
وَتَمَوَّجَتِ الدُّنْيَا في عَيْنِي
غَابَتْ في البَرِّ حِكَايَاتُ البَحْرِ
كَانَ بَعِيدًا شَجَرٌ يَحْكِي
لِعُرُوسٍ عَاشَتْ دَهْرًا في حُضْنِ المَوْجِ

وَمَا زَالَتْ تَحْتَرِفُ السِّحْرُ
يَتَصَاعَدُ مِنْ رُوحِي صَوْتُ أَزَلِيٍّ
مُنْبَثِقٌ كَالْفَجْرِ
قَلْبِي سَاعِنٌ شَغَفًا يَسْكُنُ هَذَا الرِّيحَ
وَشَعْرًا أَسْوَدَ يَنْسَابُ عَلَى عَاجٍ
فِي أَفْقِ الْيَاقُوتِ
حِينَ يَعُودُ الرَّبُّ
سَاعِزِفُ لِلرُّودِ الْأَحْمَرِ كَأْسًا آخِرَ مَنْ بَيْرُوتِ
حِينَ يَعُودُ الرَّبُّ
سَأَجْمَعُ فَوْضَائِي
وَأَغْسِلُهَا فِي نَهْرِ أَدُونَيْسَ صَبَاحًا
لِي، وَلِكُلِّ صَدِيقٍ حِينَ أُودِعُهُ

تَدْمَعُ عَيْنِي

وَيَنْزِلُ الْقَلْبُ طَرِيقًا جَبَلِيًّا يَهْوِي فِي الْمَاءِ

وَيَصْعَدُ فِي الْمَلَكُوتِ

حِينَ يَعُودُ الرَّبُّ

سَأَجْمَعُ فَوْضَايَ

وَأَلْعَبُ مَعَ أَطْفَالِ الزَّمَنِ الْمُتَعَبِ "بَيْتَ بُيُوتٍ"

وَأَنَا يَا قَمَرَ الطَّرِيقَاتِ،

صَنَعْتُ مِنَ الْمَوْجِ حَيَاتِي

أَنْسْتُ الدَّهْشَةَ

فَاشْتَعَلَ الْكَوْنُ بَرِيقًا أَخْذَاذَا

وَمَزَجْتُ الْمَاضِي بِالْآتِي

٢٧/٥/٢٠١٣ بيروت

صَبَاح

أَنْذَا صَحَوْتُ مَعَ الصَّبَاحِ
بَذَرْتُ أُغْنِيَتِي
وَذَا كَرْتِي تَبُوحُ كَمَا السَّمَاءُ
مَا بَالُ أَعْيُنِكُمْ تُغَيِّبُنِي
وَتُسَكِّنُنِي الْمَسَاءَ

أَنْذَا رَأَيْتُ مَجِيئَنَا

وَوَغِيَابَنَا

وَحِكَايَةَ الْأَيَّامِ فِي أَصْوَاتِنَا

حَتَّى ضَحِكْتُ مِنَ الْبُكَاءِ

قَالَتْ لِي الْأَشْجَارُ: أَفَهُمْ قِصَّتَكَ

قَالَتْ لِي الْأَقْمَارُ: قَدْ جَرَّبْتُهَا

قَالَتْ لِي الْأَحْزَانُ: كَفُفِ دَمْعَتَكَ

مَنْ يَعْرِفُ الْأَقْدَارَ... يُدْرِكُ لَوْعَتَكَ

مصر ٢٠١١/١٢/٢

صديق

في اللَّيْلِ أُجَازِفُ وَحَدِي
أَتَوَغَّلُ فِي كَلِهَاتٍ مُثْقَلَةٍ بِالدَّمْعِ
وَأَمْشِي قُرْبَ جَلِيدِ الصَّمْتِ
شَيْءٌ مَا يَسْأَلُنِي:
أَيْنَ، وَكَيْفَ الرَّحْلَةُ
مَنْ أَنْتَ؟

فِي اللَّيْلِ أُجَازِفُ وَحَدِي

لَكِنَّ صَدِيقًا وَرَدِيًّا

يَصْحُو

يَحْكِي لِي شَيْئًا غَبَشِيًّا

عَنْ وَقْتٍ يَتَفَجَّرُ فِي الْوَقْتِ

وَيُرَدِّدُ لِي أُغْنِيَةَ الْعُمْرِ

أَنَا مِثْلُكَ أَنْتَ

مصر ٢٠١١/١٢/١٢

عَنْتِرُ وَدَائِرَةُ النَّحْسِ

حِينَ أُدِيرُ الظَّهْرَ لِأَحْلَامٍ بَاكِئَةٍ

تَتَكَوَّرُ فِي مَلَكُوتِ الْيَأْسِ

يَبْقَى وَجْهَكَ لُغْزًا

مَحْفُورًا فِي أَرْوَقَةِ النَّفْسِ

يَتَعَلَّقُ يَأْقُوتُ الرُّوحِ طَوِيلًا

فِي خَيْطِ مَعْقُودٍ

فِي مِحْرَابِ الشَّمْسِ

ها عَنَتْرُ فِي حَضْرَةِ سَيْفِ نَعْسِ

يَتَذَكَّرُ بَعْضَ الْعَرَبِيَّةِ

يَتَحَسَّسُ سَيْفًا مَعْدُورًا

وَعَدُوا مَعْرُورًا

يَتَحَدَّى مَعْتَوْهَا يَتَزَعَمُ عَبْسُ

وَأَخِيرًا يَسْمَعُ عَبْلَةَ وَهِيَ تَصِيحُ وَتَبْكِي

" لَا نَخْلَ يَهْزُ الرَّاحِلُ

كِي يَلْتَقِطَ الْأَبْطَالَ

فَيَخْتَلِفُ الْجَرَسُ

لَا بَرَكَاتٍ تَسْتَنْبِعُ مَاءً

مِنْ حَلَقَاتِ الْيَأْسِ "

حَافِيَةً خَرَجَتْ أَحْلَامِي

زَرَعَتْ فِي عَيْنِي أَفْقًا

أَبْعَدَ مِمَّا يَحْتَمِلُ الْبَأْسَ

وَأَقُولُ لِحَارِسَةِ الشُّوقِ تَعَالِي

رَبِّ أَغَانٍ لَمْ يَكْتَحِلِ الْأَفُقُ بِهَا

رَبِّ سَمَاءٍ لَمْ يَشْتَعِلِ الْبَرْقُ لَهَا

رَبِّ طَرِيقٍ يَتَضَوَّرُ عِشْقًا

فِي أَرْضِ صَفَةِ الرَّأْسِ

رَبِّ نَبِيٍّ يَتَمَرَّدُ شَوْقًا

رَبِّ دِمَاءٍ تَرَسَّمُ مَجْدًا أَبَدِيًّا

فِي جُدْرَانِ الْحَبْسِ

قَبْلَ طَرِيقِ

شَاهِدَتُ النَّورَسَ يَتَخَبَّطُ

بَيْنَ الْجُدْرَانِ

وَيَحْفِرُ فِي الْأَرْضِ كَمَا الْفَأْسُ

وَأَنَا أَذْكَرُ

حِينَ رَفَعْتُ الصَّخْرَةَ عَنِ الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ

أَلْفَيْتُ شِفَاهَا لَا أَحْلَى

تَتَوَرَّدُ فِي الْكَأْسِ

هَلْ يَخْرُجُ عَنَّا مُشْتَعِلًا بِالثَّوْرَةِ وَالْعِشْقِ؟

وَيُحِطِّمُ دَائِرَةَ النَّحْسِ

تَرْحَالُ

الرَّمْلُ وَحَبَّاتُ العَرَقِ السَّاخِنِ

وَالصَّخْرُ وَلَيْلِي

وَذُهُولِي فِي نَارٍ

أَجَّجَهَا تَرْحَالِي وَيَلَا

مَا أَصْعَبَ أَنْ يَمْضِيَ العُمُرُ وَلَا يَبْقَى

غَيْرَ الآهِ المَخْنُوقَةِ

وَالذِّكْرَى المُجْتَرَّةَ لَيْلَا

سؤال

تُحَمَلِقُ بِي مِثْلَ دُمِيَّةٍ

تُشَاطِرُنِي دَهْشَتِي

وَحَصْدِي بُذُورَ الْغَرَابَةِ

أَنَا صَادِقًا لَسْتُ أَدْرِي

إِذَا سِرْتُ وَحْدِي تَرَانِي

أَنَا

أَمْ تَرَى شَبَحَ الْكَابَةِ

سَكِينَةٌ

لِلسَّكِينَةِ وَجْهٌهَا الْآخِرُ
فَعِنْدَمَا تَتَشَابَكُ اللَّحَظَاتُ الْحَزِينَةُ
تَشْتَعِلُ الْحَرَائِقُ
وَيَمُوءُ قِطٌّ فِي خُوءِ الْقَمَرِ

لِلسَّكِينَةِ وَجْهٌهَا الْآخِرُ
قَهْوَةٌ تَتَحَدَّى مَرَارَتَهَا

غُرْفَةٌ تَتَحَدَّى مَسَاحَتَهَا
شَهْوَةٌ تَحْكِي فَظَاطَتَهَا
وَطَمَأْنِينَةٌ يَسْكُنُهَا الْحَذَرُ

الْبَعِيدُونَ عَنِّي لَيْسُوا خُرَافَةً
لَكِنَّهُمْ مِثْلُ الْمَسَافَةِ
زَوْرُقٌ يَبْكِي قُرْبَ الضِّفَافِ
غُصْنٌ يَحْنُ لِلشَّجَرَةِ
وَصَاحِبٌ قَدِيمٌ يَغْتَالُهُ السَّفَرُ

المِشْنَقَةُ

المِشْنَقَةُ لَيْسَتْ حَبْلًا

لَيْسَتْ مَوْتًا

وَلَا حَيَاةَ

إِنَّهَا انْتِظَارٌ مَا قَدْ لَا يَأْتِي

حَتَّى لَوْ زَرَعْتَ الْأُفُقَ بِالْأَلْوَانِ

وَالْأَسْمَاءِ

وَالْأَحْلَامُ

إِنَّهَا حِكَايَةٌ مَنْ جَاءَ بَعْدَ الْوَقْتِ
وَأَدْرَكَ الزُّكَّامَ بَدَلًا مِنْ عِطْرِ الْحَبِيبَةِ

إِنَّهَا حِكَايَةٌ مَنْ جَاءَ
وَسُجِّلَ فِي كُلِّ الدَّفَاتِرِ غَائِبًا
حَتَّى تَذَمَّرَتْ مِنْهُ قَوَاعِدُ الْمَنْطِقِ وَالْحِسَابِ

الْمِشْنَقَةُ تَفْعِيلَةٌ بَلْهَاءُ تَحْكُمُ قَصِيدَةً مَجْنُونَةً
إِنَّهَا بَرْقٌ بِلا رَعْدٍ
وَرَعْدٌ بِلا مَطَرٍ
إِنَّهَا حَيَاةٌ مُمَلَّةٌ تَقْبَعُ فِي عِبَاءَةِ الْمَوْتِ

أُفُقُ الْمَقْبَرَةِ

المُملّونَ مِثْلَ بُرودَةِ الرُّخَامِ
يَمَلّوْنَ الأُفُقَ بِالتَّكْرارِ وَالزَّواحِفِ المَقِيئَةِ
لا جَدِيدَ في بَرائِنِ النِّقْلِ والتَّفاهَةِ
لا جَدِيدَ في مَنازِلِ الحُفَاطِ ذَوِي العُيُونِ الضَيِّقَةِ
والحُرُوفِ الَّتِي تُثيرُ التَّقَيُّؤَ
غَيرَ أَنَّ نَكْءَ الجِراحِ مِنْ جَدِيدِ

صَارَ عَادَةَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ
فَأْتَوْرَةَ الْمَرَضِ الَّذِي لَيْسَ يَشْفَى
وَمَبْكَاءَ الْعَارِفِينَ فِي مِحْنَةِ الْحِسَابِ
قَدْ يَعْرِفُ الْجَمِيعُ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَمَا تَذُوبُ الْجَوْهَرَةَ
وَيَأْخُذُ الصَّمْتَ الْأَغْنِيَاتِ
لِيَتَسَاوَى الْأُفُقُ بِالْمَقْبَرَةِ

مَرَارَةٌ

مِنْ حَقِّ الطَّرِيقِ أَنْ تَحْفَظَ الخُطَى
وَمِنْ حَقِّ الخُطَى أَنْ تَنْسَى مَرَارَةَ الطَّرِيقِ
تِلْكَ الأَغَانِي لَمْ تَكُنْ يَوْمًا سِوَى نَعِيقِ شَقِّ المَدَى
فَظَنَّ المُسَافِرُ أَنَّ العَدُوَّ صَدِيقٌ

الأعمال الشعرية الكاملة حتى عام ٢٠١٨ علي طه النوباني

قصائد لم تنشر في ديوان

الأعمال الشعرية الكاملة حتى عام ٢٠١٨ علي طه النوباني

رسالة إلى كيسان

أَكَيْسَانُ:

مَا زِلْتَ تَخْشَعُ تَحْتَ السَّقِيْفَةِ

مَضَى أَلْفُ عَامٍ

وَأَلْفُ خَلِيْفَةٍ

وَوَجْهَكَ خَاوٍ

وَعَيْنَاكَ جِيْفَةٌ

وَشَارِعُ الْبُؤْسِ يَطْوِي رَصِيْفَةً

أَكْيَسَانُ:

ابن اللُّكَاعَةِ غَادَرَ الْبُؤْسَ فَجَرَا

تَجَنَّبَ سُمَّ الْأَفَاعِي

وَمَدَّ الْمَلَدَاتِ نَهْرَا

تَخَيَّرَ دَرْبَ الْغَوَانِي

وَوَلَّى لِبُؤْسِكَ ظَهْرَا

وَحَاطَ لِبَاسًا حَرِيرًا

وَسَافَرَ فِي الْعَمْرِ دَهْرَا

فَحَتَّامٌ تَنْتَظِرُ الْخِلَاصَ

وَتَبَنِي عَلَى الصَّبْرِ صَبْرَا

وَأَمْسِ عَوْتُ يَا صَدِيقِي كِلَابٌ يَزِيدُ

فَأَمْسَى الرَّفَاقُ سُكُوتًا وَحَيْرَى

فَهَذَا يَقُولُ سَمِعْتُ عَوَاءً

وَذَاكَ يَقُولُ سَمِعْتُ شِعْرًا

وَذَاكَ يُقَلِّدُ صَوْتَ الْكِلَابِ

وَذَاكَ يُخَيِّطُ مِنَ الْيَأْسِ قَبْرًا

وَأَعْرَفُ، لِلْعُمَرِ حَقًّا، فَأَمَّا

إِذَا نَظَرَ الْقَوْمَ شَزْرًا

وَهَمَّوْا بِسَحِقِكَ لَوْلَا تُحِيْطُ الْقَصْرَ فَقْرًا

فَأَبْصُرْ طَرِيقَكَ يَا صَدِيقِي

وَأَعْلِنِ طِلَابَكَ جَهْرًا

فإمّا نُقيمُ على الأرضِ عدلاً
وإمّا نصيرُ الأرضَ بحراً

١٩٩٢/٥/٥

المَجْدُ للشهداء

إهداء إلى شهداء مخيم جنين

يا أُمَّةَ الكَلِماتِ والخُطَبِ الشَّهيرةِ

والمَجْدِ الأثيرِ

ها يَنْفِرُ الأعداءُ مِنْ كُلِّ البلادِ

وَنَحْنُ أَوْلَى بالنَّفيرِ

جَمَعُوا لَنَا وَجَمَعَنَا
خَبَلَ التَّخَاذُلِ وَالتَّنَاحِرِ
وَانبَطَحْنَا لِلْمَصِيرِ
الْمَجْدُ لِلشُّهَدَاءِ فِي عَلَيَّهِمْ
وَلنَحْتَفِظُ بِبَلَاغَةِ الْإِنْشَاءِ
وَالتَّعْبِيرِ

كَفَنُ عَلَى كَفَنٍ عَلَى كَفَنٍ
عَلَى الصَّحْرَاءِ وَالْأَنْبَاءِ وَالسَّرِيِّ
وَالْإِمْضَاءِ بِالْقَلَمِ الْحَقِيرِ

كَفَنٌ عَلَى الْبُلْهَاءِ وَالْمُسْتَغْفَلِينَ
عَلَى بَحَارِ الْكِذْبِ فِي الْمَبْغَى الْكَبِيرِ
كَفَنٌ عَلَى الْهَرَوَاتِ وَالغَازَاتِ
وَالزَّمَنِ الْمُدَجَّجِ بِالسُّقُوطِ
وَبِالسِّيَاطِ
كَفَنٌ عَلَى الْغَمْدِ الَّذِي عَشِقَ السُّيُوفَ
فَأَوْسَعَتْ أَهْلَهَا بِالذُّلِّ وَالتَّنْذِيدِ وَالْإِحْبَاطِ
كَفَنٌ عَلَى الْحَشْرَاتِ يَدْفَعُهَا الطُّغَاةُ
مِنَ الْبَلَاطِ إِلَى الْبَلَاطِ
يَتَعَطَّرُ الْأَوْغَادُ فِي أَكْنَفِنَا
بِالْمَوْتِ يَلْتَهُمُ الدِّيَارَ
وَبِالشُّوَاطِ

يَا مَنْ تَمَدُّ يَدًا تَبِيعُ وَتَشْتَرِي

هَلْ ظَلَّ رَأْسُ كِي تَطَاطِي

هَلْ ظَلَّ رَأْسُ كِي تَطَاطِي

الْمَجْدُ لِلشَّهْدَاءِ فِي عَلِيَّائِهِمْ

وَلتَبَقَ وَحَدَكُ فِي انْحِطَاطِ

وَلتَبَقَ وَحَدَكُ فِي انْحِطَاطِ

نيسان ٢٠٠٢

كَيْفَ تَنَامُ

إلى الدكتور

شُكْرًا يَا مَوْلَانِي

الْيَوْمَ خَتَمْتَ لَنَا الْعِلْمَ

وَكَسَّرْتَ الْأَقْلَامَ

وَوَقَفْنَا قُدَّامَ تَكَايَاكَ حَفَايَا

تَلَعْنَا الْأَيَّامَ

وَبَنَيْتَ لَنَا سِجْنًا أَكْبَرَ مِنْ حَاجَتِنَا

وَشَنَقْتَ الأَحلامَ

وَتَلَعَّثَمْنَا بالكلماتِ وَقَدْ كُنَّا

عُلَماءَ كَلامٍ

قَدْ جَرَّبْنَا صَوْتَ المِعدَةِ يا مَولايَ

وَنَمنا

لَكِنَّا لا نَدري، كيفَ تَنامُ؟

عَهْدُ فِلَسْطِينِ

إهداء إلى عهد التيمي

لَا عَهْدَ لِلْأَوْبَاشِ يَا عَهْدُ

لَا قَبْلَهُمْ سَفَهُ وَلَا بَعْدُ

لَا حَدَّ لِلْأَنْدَالِ يَمْنَعُهُمْ

لَا كَأْسُهُمْ مَاءً وَلَا شَهْدُ

طَعَنُوا بِسَيْفِ الْغَدْرِ أُمَّتَهُمْ

فَأَصَابْنَا مِنْ نَارِهِمْ بَرْدُ

حَطَّتْ عَلَى الْأَدْرَانِ نَخْوَتَهُمْ

خَوْفًا يُصِيبُ رِداءَهُمْ مَجْدُ

قَوْلِي لَهُمْ: لِلسَّجِنِ نَافِذَةٌ

فِي أَرْضِنَا يَجْتَا حُهَا الْوَرْدُ

تَسْطُو عَلَى الْجُدْرَانِ تَزْرَعُنَا

فَنَخَالُنَا فِي رَوْضِهَا نَعْدُو

لَا مَوْتَ يُنْسِينَا حَلاوتَهَا

لَا حَدَّ يَمْنَعُنَا وَلَا سَدُّ

أَمَّا الْبُغَاثُ فَقَوْلُهُ شَطَطٌ

أَمَّا الْبُغَاثُ فَشَمْسُهُ لِحْدُ

أَنْشُودَةُ الْعَرَبِ

نَزَفْتُ بُرُوقِي فِي زَمَانٍ أَسْوَدِ
وَجَلَسْتُ أَكْتُبُ فِي الصَّحِيفَةِ مَوْعِدِي
لَا غَيْمَ فِي الصَّحْرَاءِ تَقْصِدُ ظِلَّهُ
لَا عُشْبَ فِي طَاغُوتِهَا الْمُتَجَرِّدِ
قَدْ غَادَرَ الصَّبْرُ الدِّيَارَ تَضَجُّرًا
بَعْدَ انْتِظَارٍ رَامَ أَوْبَةَ مُنْجِدِ

مَا خَطْبُ أَوْلَادِ الْحَرَامِ يَرُوقُهُمْ
صَوْتُ الْجِيَاعِ وَرَجْفَةُ الْمُتَجَمِّدِ
فَتَزَيِّنِي بِالْبُؤْسِ يَا ابْنَةَ يَعْرَبِ
وَتَنْقَلِي مِنْ نَكْسَةٍ لِتَشْرُدِ
وَتَحْمَلِي شَظْفَ الْحَيَاةِ لِأَجْلِهِمْ
وَتَرَاقِصِي وَتَمَائِلِي وَتَوُدِّي
وَإِذَا بَرَكَ الْجُوعُ عُمْرَكَ كَلَّهُ
فَتَرْفَعِي عَنْ لَوْمِهِمْ وَتَجَلِّدِي
وَإِذَا أَتَاكَ الْبَرْدُ يَقْطِفُ حِصَّةً
فَأَسْتَسْلِمِي وَعَلَيْكَ أَنْ تَتَعَوَّدِي
قَدْ يَجْمَعُ الْأَوْبَاشُ مِنْكَ رِفَاهَهُمْ
وَيُحَرِّقُونَكَ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

تَبَّأَ لِحَوْلَةٍ نَرْتَجِي أَطْلَالَهَا

فِي الرَّمْلِ سَابِحَةً بِبُرْقَةٍ تَهْمِدُ

لَمْ تَكْتَحِلْ مِنْ عُمْرِهَا يَوْمًا سِوَى

بِالظُّلْمِ وَالْغُصَّاتِ وَالْحِطِّ الرَّدِّيِّ

حَتَّى إِذَا خَرَجْتَ تُمِيطُ لِثَامَهَا

جَاعَ الْكَرِيمُ وَضَلَّ مِنَّا الْمُهْتَدِي

وَتَحَوَّلَتْ أَيَّامُنَا عَبَثًا فَلَا

رَجَعَ الصَّبَاحُ وَلَا أَضَاءَ عَلَى الْغَدِ

وَتَبَدَّلَتْ أَحْلَامُنَا غُبْنًا فَمَا

يَذْرِي الْمَسَاءُ بِلَوْعَةِ الصُّبْحِ النَّدِي

مَا بَيْنَ أَوْلَادِ الْحَرَامِ مُخَالَفٌ

يُرْوِي الشُّكَايَةَ مِنْ ضَمِيرٍ رَاشِدٍ

فَتَزِينِي بِالْبُؤْسِ يَا ابْنَةَ يَعْرُبِ

وَتَرَأَقِصِي وَتَمَائِلِي وَتَجَرِّدِي

فَإِذَا صَحَّوَتْ عَلَى الرَّبِيعِ هُنَيْهَةً

هَطَلَ الْوَحُوشُ كَمِثْلِ سَيْلِ جَارِدِ

الرَّمْلُ فَاجِعَةٌ الرَّحِيلُ وَنَارُهُ

وَالشُّوكُ نَاصِيَةُ الْأَذَى الْمُتَجَدِّدِ

وَالدَّرْبُ إِنْ كَانَتْ تَقُودُ إِلَى نَوَى

فَلتَشْتَعِلْ حَتَّى نَذُوبَ بِسَرْمَدِ

فَتَزِينِي بِالْبُؤْسِ يَا ابْنَةَ يَعْرُبِ

وَتَمَائِلِي وَتَرَأَقِصِي وَتَبَلِّدِي

الْبَابُ قَبْلَ الدَّارِ قِبْلَةُ هَارِبِ

وَالْمَاءُ قُرْبَ النَّارِ صَفْعَةٌ عَائِدِ

مَا كَانَ مِنْ عُمَرِ الزَّمَانِ زَمَانُنَا

لَكِنَّ سَاعَتَنَا تَرُوحُ وَتَغْتَدِي

فَتَزِينِي بِالْبُؤْسِ يَا ابْنَةَ يَعْرَبِ

وَتَمَائِلِي وَتَرَاقِصِي وَتَبَلِّدِي

لَامِيَةُ الْهَمَجِ

خَفَّتْ سُلَيْمَى إِلَى الدِّيَارِ فِي عَجَلٍ
وَأَنْتَابَهَا قَرْفٌ مِنْ شِدَّةِ الثَّمَلِ
كَمْ حَوْلَهَا فِي فَيَافِي الْأَرْضِ مِنْ أَسَدٍ
زَالَتْ مُرْوَتْهُ، يُرْعَى مَعَ الْحَمَلِ
كَانَتْ تُؤَلِّفُ فِي لَيْلٍ مَزَاعِمَهَا
أَنَّ النُّجُومَ غَفَّتْ بِالْقُرْبِ مِنْ زُحَلِ
لَكِنَّ سَيِّدَهَا - وَالكَأْسُ مُتْرَعَةٌ -
ضَحَى بِأَلْفٍ مِنَ الزُّعْرَانِ وَالْهَمَلِ

فَغَادَرَتْ حُزْنَهَا وَاسْتَعْمَرَتْ وَطَنًا

يَغْفُو عَلَى الْهَمِّ وَالتَّشْرِيدِ وَالْوَجَلِ

حَتَّى إِذَا مَا بَدَتْ فِي الرُّوضِ رَاقِصَةً

وَالْقَدْ يَلْمَعُ فِي الْآفَاقِ كَالشُّعَلِ

قَالَتْ لِمُكْتَبٍ قَدْ كَانَ يَعَشُقُهَا

أَكْرَمَ بِحَافِيَةٍ تَعْلُو عَلَى الدُّوَلِ

إِذَا رَأَيْتَ دُرُوبَ الْعُمَرِ مُقْفِرَةً

مَاذَا سَتَفَعَلُ يَا مَنْحُوسُ بِالْأَمَلِ

نَامَ الْمُحَارِبُ قَدْ أَعْيَتْهُ حُجَّتُهُ

لَمْ يَبْقَ فِي رَأْسِهِ الْخَاوِي سِوَى الْمَلَلِ

قَدْ جَاءَ فِي زَمَنِ سَادَ الْهَرَاءُ بِهِ

وَازْدَانَ كُلُّ صَوَابٍ فِيهِ بِالْخَلَلِ

وَاعْتَلَّ بِالْوَهْمِ لَمْ يَذْكَرْ مَلَامِحَهُ

مَا يَفْعَلُ الْعَقْلُ فِي بَحْرِ مِنَ الْهَبْلِ

فِي الصَّمْتِ أُحْجِيَّةٌ، فِي الْقَوْلِ أُحْجِيَّةٌ

فِي مَا تَرَدَّدَ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْأَمَلِ

حَامَتْ بِيَارِقُنَا فِي السَّفْحِ وَاعْتَكَفَتْ

فَالْمَوْتُ فِي عَمَلٍ، كَالْمَوْتُ فِي كَسَلٍ

هَذَا النَّهْيُ؛ وَذَا النَّعِيقُ مَنْزِلَةٌ

تَسْعَى إِلَيْهَا أَنْوْفُ النَّاسِ فِي كَلَلٍ

يَمْضِي الْجَمِيعُ إِلَى مُسْتَنْقَعِ أَسْنٍ

فَيَمْرُجُونَ أَحْرَّ الطَّعْنِ بِالْقَبَلِ

لَا تَحْمِلِ الدَّرْعَ فِي يَدٍ مُضَرَّجَةٍ

وَانظُرْ لظَهْرِكَ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلٍ

إِذَا جَمَعْتَ فُصُولَ الْجَهْلِ فِي كُتُبٍ

فَالْغَدْرُ مُقْتَرِنٌ بِالظُّلْمِ لَمْ يَحُلِ

جَحْشٌ عَلَا فَرَسًا فَاشْتَدَّ سَاعِدُهُ

وَأَنْتَابَهُ خَبَلٌ فِي الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ يَعْلُو لِمَرْتَبَةٍ

حَتَّى رَأَيْتُ نَكِيرَ الصَّوْتِ فِي الْأَوَّلِ

مَاذَا سَيَفْعَلُ أَفَاقٌ لِخَيْبَتِنَا

غَيْرَ السَّبَّاحَةِ فِي بَحْرِ مِنَ الْقَمَلِ

لَا رَدَّهُ اللَّهُ مِنْ تَرْحَالِهِ أَبَدًا

فَالسَّفْحُ مُنْقَلَبٌ فِي قِمَّةِ الْجَبَلِ

مَا كَانَ أَبْصَرْنَا وَالشَّمْسُ سَاطِعَةً

فَابْشِرْ بِحِظِّكَ فِي الظُّلْمَاءِ وَالْحَوْلِ

والخَيْلُ خَائِعَةٌ، لِلذَّبْحِ مُذْعِنَةٌ

والرُوحُ جَائِعَةٌ، وَالشَّوْكُ فِي المَقْلِ

مَنْ ذَا يُزِينُكُمْ؛ يَا رَهْطَ فَاجِرَةٍ

أُودِتْ بِصَاحِبِهَا فِي أَرْدَا السُّبْلِ

يَا أُمَّةً أَعْدَمَتْ أَيَّامَهَا فَشَلًّا

وَاسْتَحْضَرْتَ كُلَّ مَا يُوْدِي إِلَى الفِشْلِ

تَرْنُو إِلَى شَرَفٍ، وَالْعِلْمُ مَنْقَصَةٌ

فِي سَاحَةِ عُمِرْتِ بِالْجَهْلِ وَالخَطْلِ

يَغْفُو عَلَى الشَّوْكِ وَالْأَحْزَانِ مُبْدِعُهَا

وَيَعْتَلِي خَيْلَهَا ذُو السَّقَطِ وَالْهَزْلِ

هَذَا الزُّهُورُ إِلَى بُؤْسٍ سَتَحْمِلُنَا

إِنْ أَيْنَعَتْ فِي حُقُولِ الثَّوْمِ وَالْبَصْلِ

(لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتٍ مُصْطَبِرٍ

وَالآنَ أَقْحَمُ حَتَّى لَاتٍ مُعْتَمَلٍ)

فِي رَوْضِنَا شَجَرٌ لَكِنَّ وَاِرْفَهُ

نَهَبٌ لِكُلِّ هَوَامِ الْأَرْضِ وَالسَّفَلِ

نَغْفُو عَلَى كَذِبٍ، نَصْحُو عَلَى كَذِبٍ

نُمْرِغُ الْوَجْهَ فِي التَّخْرِيفِ وَالْخَبَلِ

حَتَّامَ نَنْتَظِرُ الْأَغْرَابَ تَنْصُرْنَا

وَيَنْحَنِي رَأْسَنَا فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ

مَا ظَلَّ مِنْ أَمْرِنَا بَيْنَ الشُّعُوبِ سِوَى

بَابِ نُوَارِبُهُ لِلْمَوْتِ وَالشَّلَلِ

كَادَ الْمُسَافِرُ أَنْ يَبْنِي سَفَائِنَهُ

لَكِنَّ عَاصِفَةً هَبَّتْ مَعَ الْخَوْلِ

فَارْحَلْ وَأُفُقْكَ أَوْهَامَ مُخَادِعَةٍ

وَأَنْثُرْ بِذَارِكُ فِي الصَّحْرَاءِ وَالْجَمَلِ

يَا سَاكِنًا خَرَفَ الْأَفْكَارِ عَجْرَفَةً

مَاذَا تَزِيدُ عَنِ الْأَقْوَامِ وَالْمَلَلِ

مَاذَا صَنَعْتَ سِوَى الْأَحْقَادِ تَقْتُلْنَا

مَاذَا بَنَيْتَ سِوَى التَّزْيِيفِ وَالزَّلَلِ

انظُرْ لِشَوْبِكَ، هَلْ أَلْفَتْ رُقْعَتَهُ

وَانظُرْ لِقَلْبِكَ مَجْبُولًا مَعَ الْعَلَلِ

وَانظُرْ لِقَوْمِكَ: مَظْلُومٌ يُؤْتَبِنَا

أَوْ ظَالِمٌ يَتَحَلَّى بِالسَّيْفِ وَالْأَسَلِ

قَدْ أَوْجَدَ النَّاسَ قَانُونًا لِيُنْصِفَهُمْ

إِلَّا دِيَارُكَ فَالْقَانُونُ لِلضَّلَلِ

كَفَى تُصَنِّفُ أَوْهَامًا تُعَدِّدُهَا

وَالنَّاسُ تَرَحَّلُ لِلْمِرْيَخِ مِنْ زُحَلِ

يَا مَتَحَفَ الحَشْرَاتِ، مَا تُرِيدُ بِنَا

جَلدًا عَلَى دُبُرٍ، أَمْ صَفْعَةَ القُبُلِ

أَتُحْرِقُ الزَّهْرَ غَضًّا فِي مَرَابِعِنَا

وَتَرْتَجِي عَسَلًا مِنْ قَطْرَةِ الوَشَلِ

سَيَهْرُبُ النَّحْلُ عَنِ أَرْضِ النِّفَاقِ ضُحَى

وَيَغْرُقُ الجَمْعُ فِي بَحْرِ مِنَ الوَحَلِ

وَنَشْتَرِي بِدُمُوعِ البُؤْسِ نَازِلَةً

فَلَا نَفْرِقُ طَعْمَ الزَّيْتِ مِنْ عَسَلِ

يَا أُمَّةً تَمَلَأُ الأَكْوَانَ جَعَجَعَةً

وَلَا نَرَى وَجْهَهَا فِي سَاحَةِ العَمَلِ

قَوِيَّهَا يَأْكُلُ الضَّعِيفَ مُسْتَعِرًّا

وَيَبْتَغِي جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ بِالذَّجَلِ

تَرَاهُ يَخْشَعُ فِي صَلَاتِهِ وَجِلًّا

وَيَرْتَبِّي صُحْبَةَ الْإِبْلِيسِ مَعَ هُبَلِ

فِي صَمْتِهِ جَشَعٌ، فِي قَوْلِهِ طَمَعٌ

يَمْشِي عَلَى جُثِّ الْأَصْحَابِ كَالْحَجَلِ

قَدْ تَاجَرَ النَّاسُ بِالْأَمْجَادِ وَارْتَفَعُوا

أَمَّا سُلَيْمِي فَمَسَعَاهَا إِلَى عَطَلِ

رِدَاءُ الرَّأْيِ سَاقَتْهَا إِلَى سَفْهِ

فَدَرَبُهَا غَبَشٌ فِي مَوْرِدِ ضِحْلِ

آب ٢٠١٧

مَجْدُ الصِّغَارِ

يَأْبَى الصِّغَارُ تَبْدُلًا رَغَمَ الْمَشِيبِ

وَيُصِيبُهُمْ شَخَفُ النِّسَاءِ لَدَى الْمَغِيبِ

وَإِذَا النَّدَالَةُ أَظْهَرَتْ رَايَاتِهَا

رَكَعُوا كَمَثَلِ نَعَامَةٍ عِنْدَ الْكَثِيبِ

تَرَدُّ الزَّوَاحِفُ كُلَّمَا عَاشَرَتْهَا
نَبَعَ التَّوَاطُؤُ ثُمَّ تُقَعِّي لِلنَّعِيبِ
وَتُصِيبُ مِمَّا أَيْنَعَتْ أَحْلَامُهَا
مَجْدَ الصِّغَارِ وَقَدْ تَضَلُّ فَلَا تُصِيبُ

يَأْبَى الصِّغَارُ تَبَدُّلاً رُغْمَ الْحَيَاةِ
وَتَمَوْتُ جِلْدَةٍ وَجْهَهُمْ قَبْلَ الْوَفَاةِ
وَإِذَا الْمَنَازِلُ أَدْرَكَتْ أَسْمَاعَهُمْ
بَكَتِ الْمَنَازِلُ قَبْلَ تَلْوِينِ الشِّفَاةِ

وَإِذَا الْمَكَارِمُ شَنَّفَتْ آذَانَهُمْ

دَفَنُوا النَّوَاصِي بَيْنَ أَدْرَانِ الشِّيْءِ

إِنَّ الرِّجَالَ لَهَا مَرْفُوعَةٌ

أَمَّا الصِّغَارُ فَقَادِمٌ فَقَدَّ الْجِبَاهُ

* * *

٢٠٠٢

مَا زِلْتُ هُنَا

إِلَى رُوحِ وَالِدِي

كُنْتُ تُحِبُّ طُقُوسَ الْعِيدِ

تُقَبِّلُ شَمْسَ الْفَجْرِ

وَتَدْعُو

تَمَلُّ أُمَّكِنَةَ

لَا يَمَلُّهَا غَيْرُكَ

كُنْتُ كِتَابًا

يَقْرُونِي قَبْلَ الدَّمْعِ

فَأَخْطُو

وَإِذَا أَثْقَلَنِي قَحْطُ الصَّحْرَاءِ

يُوَاسِينِي سَيْرُكَ

مَاذَا غَيَّرَ هَذَا البُعْدُ

وَمَا زِلْتِ هُنَا

تَطْرُقُ بَابَ البَيْتِ

فِيهِتِفُ أَطْفَالِي

" جِدِّو... جِدِّو "

تَصِمْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ

وَيَغْرِدُ طَيْرُكَ

قَارِبِي فِي الْبَحْرِ مَعْطُوبُ

يَا وَيَلَّتِي قَارِبِي فِي الْبَحْرِ مَعْطُوبُ

لَا عُدْتُ مِنْ سَفَرِي لَا أَبَ مَحْبُوبُ

إِنْ شِئْتَ تُخْرِجُنِي مِنْ عَالَمِي فَأَنَا

بِالْكَدِّ مُنْشَغَلٌ بِالْبُؤْسِ مَضْحُوبُ

أَجْرَيْتُ مِنْ وَجَعِي فِي الْأَرْضِ طَامِحَةً
عَادَتْ مُرَوَّعَةً وَالْقَلْبُ مَشْعُوبُ
قَالَتْ أَلَمْ تَرْنِي فِي الدَّرْبِ عَائِرَةً
العَقْلُ يُقْتَلُنِي وَالْجَهْلُ مَطْلُوبُ
يَا لَيْتَنِي أَمَلًا حَصَلْتُ مِنْ تَعْبِي
فَمَا أَنَا أَبَدًا فِي الصَّبْرِ أَيُّوبُ
فَالنَّاسُ قَدْ جَمَعُوا لِلْكَذِبِ مَحْفَلَهُمْ
وَالصِّدْقُ مُنْدَحِرٌ فِيهِمْ وَمَغْلُوبُ
إِنَّ الْخَوَارِجَ كُثْرُ لَسْتُ آخِرُهُمْ
مَا فَارَقُوا زَمَنًا وَالْعَدْلُ مَضْلُوبُ
كُفُّوا الْمَلَامَ فَمَا تَدْرُونَ مَا وَجَعِي
وَالْحَقُّ غَايَتُكُمْ فِي الْغَيْبِ مَحْجُوبُ

وَيَشْهَدُ اللَّهُ لَا أَنْسَى مَوَدَّتَكُمْ

لَكِنِّي عِنْدَكُمْ فِي الصِّدْقِ مَكْذُوبٌ

١٩٩٤/٣/٢٣

أَنِي لَكَ هَذَا

أَنِي لَكَ هَذَا

يَا ذَكَرًا وَالْأُمَّةُ أَنثَى

هَلْ تَرَكَ الرَّبُّ رَصِيدًا

فَقَسَمْتَ لِنَفْسِكَ إِرْثًا

أَمْ فِي يَدِكَ الْيُمْنَى

بُعِثَ الْغَثُّ سَمِينًا

وَجَمِيعًا لَمْ نَقْدِرْ بَعَثَا

فَلَبِستَ حَرِيرًا

وَلَبِستَا

سِرْوَالًا رَثًّا

وَأَقَمْنَا نُحْصِي نَجْمَاتِ اللَّيْلِ

وَنَأْكُلُ رَوْثًا

١٩٩٦

دَرْبٌ وَزَهْرٌ

كُونُنَا الْمَحْزُونُ بَرْدٌ يَرْتَدِي قَلْبَ الْجَحِيمِ
بَهْجَةُ الْأَشْرَارِ فِيهِ مَنبَتُ الظُّلْمِ الْمُقِيمِ
لَيْلَتِي وَجَدُّ وَشَوْقٌ رَاعَهَا وَجْهٌ دَمِيمٌ
صَوْتُهُ يُفْضِي لِصَمْتٍ صَمْتُهُ جُرْحٌ قَدِيمٌ
فَارْسُمِي دَرْبًا وَزَهْرًا وَاسْكُنِي هَذَا السَّدِيمِ

لَمْ يَزَلْ حَوْلَ خُطَانَا	شَاسِعًا هَذَا الْخِرَابُ
جِلْدُهُ ظِلٌّ وَدَيْعٌ	جَوْفُهُ وَجَرُّ ذِيَابُ
كُلَّمَا شِئْنَا حُضُورًا	نَعْتَلِي بُرْجَ الْغِيَابِ
فَارْسُمِي دَرْبًا وَزَهْرًا	وَاسْكُنِي هَذَا السَّرَابُ
طَيْفَهُ لَوْنٌ وَسِحْرٌ	عَاشِقٌ تِيهَ الضَّبَابُ

نَحْنُ أَطْيَارٌ تَهَاوَتْ	فِي ظَلَامٍ وَصَقِيعُ
أَنْشَأَتْ دِفْئًا قَلِيلًا	فِي خَيَالٍ تَضِيعُ
وَاسْتَبَدَّتْ فِي رِوَاها	رَغْمَ تَرْحَالِ الرَّبِيعِ
فَارْسُمِي دَرْبًا وَزَهْرًا	وَاسْكُنِي اللَّوْنَ الْبَدِيعِ

رُبَّمَا تَغْفُو لِحِينٍ نَكْهَةُ السُّمِّ النَّقِيعُ
فَنَرَانَا فِي رُؤَانَا رُغْمَ مَاضِينَا الصَّرِيعُ

فِي صَبَاحٍ قَدْ سَرِينَا نَبْتَغِي الرِّزْقَ نَجُوبُ
لِحَظَاتٍ وَبَكِينَا وَبَكَتْ كُلُّ السُّهُوبِ
وَأَنْتَهَتْ مِنْ شَفْتِينَا بِسَمَةٍ كَادَتْ تَوْوِبُ
يَخْتَفِي نُورُ سَمَانَا فِي حَيَاةٍ مِنْ هُرُوبِ
قَدْ نَرَى فِيهَا الْحِسَانَا عِنْدَمَا يَأْتِي الْغُرُوبُ
فَارْسُمِي دَرْبًا وَزَهْرًا وَدَعِي الْقَلْبَ يَذُوبُ

وارسُمي فيه خُطانا في شَمالٍ أو جَنوبٍ
رُبما تَروي الأغانِي بَعْض ما تُخفي الدُّروبُ

تُصبحُ الأَشواقُ عاراً حينَ تدعونا القُبورُ
يُصبحُ المَجْهولُ جاراً مِثْل بُركانٍ يَشورُ
بَينَ أعناقِ الصِّبايا بَينَ أوراقِ الزُّهورِ
فَوقَ رَبّاتِ المَرايا فَوقَ أَشْلاءِ النُّحورِ
إذِ بنا نَبْكي صِراعى ها جَنا عَزمُ يَخورُ
ذِلكَ البُرْكانُ يَهْذي يَجْعَلُ الدُّنيا تَدورُ
إِنّنا يا قَلْبُ نَشْجى في هُنَيْهاتِ الحُبورِ

فَرَحْنَا يَا قَلْبُ يَمْضِي وَلِذَا الْحُزْنَ الْكَبِيرُ
فَارُسْمِي دَرَبًا وَزَهْرًا واجمعي هذي النُّذُورُ
رُبَّمَا نَبْرِي الثَّوَانِي فِي مَتَاهَاتِ الدُّهُورُ
نَتَجَلَّى مِثْلَ طَيْفٍ فِي عَبَاءَاتِ السُّرُورُ

١٩٨٥

صَمْتُ الهَوَى

ما جاد صَمْتِي فِي هَوَاكِ أَمِيرَتِي

لَكِنَّ قَوْلِي كَأَمْنٍ بِسَرِيرَتِي

وَتَقُولُ صَاحِبَتِي تُحَدِّثُ مَرَّةً

وَتُدَاعِبُ الْقَلْبَ بِأَجْمَلِ بَسْمَةٍ

" الْيَأْسُ يَبْدُو فِي حَدِيثِكَ مُتْرَعًا

وَالْيَأْسُ ضَعْفٌ قَاتِلٌ بِسَجِيَّتِي

الْقَلْبُ يَضْحَكُ لِلْحَيَاةِ حَقِيقَةً

يَا لَيْتَ صَاحِبَتِي تُحِيطُ حَقِيقَتِي

مَا كَانَتْ الْأَحْزَانَ غَايَةً عَاقِلٍ

لَكِنَّهَا تَصْطَادُ دُونَ جَرِيرَةٍ

مَا اصْطَدْتُ غَرْبَانًا أُرِيدُ فِضَاءَهَا

لَكِنَّهَا حَطَّتْ فَوْقَ مَسِيرَتِي

وَتَرَاقَصَتْ لِتُغِيظَنِي بِنَعِيقِهَا

وَتَوَقَّدَتْ بِجَوَانِحِي وَبَصِيرَتِي

وَعَدَتْ تُبَشِّرُنِي بِقِمَّةِ عَهْدِهَا

وَتَزِيدُ مِنْ هَمِّي وَتُكْثِرُ حَيْرَتِي

فَرَمَيْتُهَا وَرَمَيْتُهَا بِشَجَاعَةٍ

وَتَضَاحَكْتُ مِنْ هَمَّتِي وَسَدَاجَتِي

مَا كُلُّ مَكْرُوبٍ يُنَزَّلُ دَمْعَةً

اخْتَارَ أَنْ يَشْقَى بِأَيِّ مُصِيبَةٍ

لَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ حَطَّتْ حَظَّهُ

بِأَنَامِلٍ تَزْهَوُ بِكُلِّ صَغِيرَةٍ

وَعَدَا يُقَاوِمُهَا وَيَضْمُدُ جُرْحَهُ

وَيُؤَمِّلُ الْغَدَ فِي أَجْمَلِ صُورَةٍ

وَيَعِيشُ فِي أَمَلٍ يَلُوحُ بِرَيْقِهِ

فِي دَوْحَةِ الْأَلَامِ وَالْحُزْنِ الَّتِي

نَشَبَتْ تُورِقُ جَفْنَهُ بِمَرَارَةٍ

وَتُعِيدُ كَرَّتَهَا كَسَالِفِ مَرَّةٍ

وَيُؤَمِّلُ الْأَيَّامَ كُلَّ مَلِيحَةٍ

وَيُنَازِعُ الْأَقْدَارَ كُلَّ كَبِيرَةٍ

هذا أنا يا ليت أنستي وعَتُ
مُتَفَائِلٌ ما اختَرْتُ يوماً لَوَعَتِي
ما جاد صَمْتِي في هَوَاكِ أَنَا إِذْ
لَكِنَّ قَوْلِي كَأَمِنْ بِسَرِيرَتِي
أَتَرَقَّبُ الأَيَّامَ أَشْحَذُ هِمَّتِي
بِمَفَاخِرِ الأَمَالِ أزرُعُ سِيرَتِي
لِأَسِيرٍ في دَرَبٍ تَوَقَّدَ غِبْطَةً
كَيَّ أَرشُفَ الكَأْسَ لِأَخِرِ رَشْفَةٍ
وَأُكَابِرُ الأَحْزَانَ إِنْ قَدِمْتَ لِيَا
وَأُحَارِبُ الأَشْجَانَ مَبْلَغَ قُوَّتِي
وَأُحَاوِرُ الدُّنْيَا فَتَفْهَمُ أَنِّي
أَتَقَمِّصُ الأَحْزَانَ أَصْنَعُ حَيْرَتِي

هَذَا أَنَا يَا لَيْتَ أَنْسَتِي وَعَتَّ

مُتَفَائِلٌ مَا اخْتَرْتُ يَوْمًا لَوْعَتِي

وَتُصِيبُنِي الْأَيَّامُ مَرَّ مُصَابِهَا

فَأَكْبِرُ الْآلَامَ غَايَةَ قُدْرَتِي

مَا اصْطَدْتُ غَرْبَانَا أُرِيدُ فِضَاءَهَا

لَكِنَّهَا حَطَّتْ فَوْقَ مَسِيرَتِي

كَمْ تُشْرِقُ الْأَمَالُ ضَاكِكَةً لَنَا

وَتَذُوبُ كِي تُبْقِي مَدَامَعَ حَسْرَةٍ

وَنَهِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَنَشْرَبُ دَمْعَنَا

وَيَتَوَقُّ خَافِقُنَا لِطَيْفِ مَسْرَةٍ

يَا وَاحَةَ الدُّنْيَا أَحْيُطُكَ أُنِّي

لَمْ أَلْقَ فِيكَ شَوَاطِئًا لِسَفِينَتِي

فَأَمِنْتُ غَدْرَكَ إِذْ وَعَدْتَ سَعَادَةً

صَدْرًا حَنُونًا فِي مَآسِي غُرْبَتِي

وَلَقَيْتُ وَعَدَكَ كَالسُّمُومِ مَرَارَةً

لَأَعِيشَ تَأْكُلُنِي دُرُوبَ مَدِينَتِي

وَأَسِيرَ سَاعَاتٍ لِتَظْهَرَ نَجْمَةٌ

مَسْكُونَةٌ بِالْحُلْمِ فِي مَرَاثِي رِحْلَتِي

١٩٨٨/٢/١٧

عَشَق

تَحْسَبِينَ الْحُبَّ شَكًّا وَفُؤَادًا كَالْحَجَرِ
وَأَنَا شِعْرٌ وَحُبٌّ عَاشِقٌ كُلُّ الْبَشَرِ
فَالْعَصَافِيرُ تُغَنِّي كَيْفَمَا اهْتَزَّ الشَّجَرُ
أَيْنَمَا شِئْتِ فَكُونِي طَائِرًا يَهْوَى السَّفَرُ
ثُمَّ عَيْشِي فِي عَيْوَنِي مِنْ غُرُوبِي لِلسَّحَرِ
سَوْفَ أَحْيَا فِي شُجُونِي نَاطِرًا شَتَّى الْفِكْرِ

عاشق عَيْنِكَ أَنَّى هاجرت فيها الصُورُ
هاتفًا يَأْتِي وَيَمْضِي كَلَّمَا يَغْفُو النَّظْرُ
مَنْ حُدُودِ جَائِيَاتِ فِي رَمَادٍ مِنْ صُورَ
نَعْرِفُ الأَلْحَانَ حَتَّى نَعْتَلِي ضَوْءَ القَمَرِ

١٩٨٦/١١/١

أذكريني

إِذَا دَمَعَتْ عُيُونُكَ فَاغْذُرِينِي

فَذَا نَفَرُ الْجَوَارِحِ يَبْتَغِينِي

أَنْسَتْ بِلَحْظِ وَدِّكَ لَا تَكُونِي

كَأَطْيَارِ الْجَوَارِحِ تَقْتُلِينِي

أَنْزَعُهَا وَأَدْفَعُهُ بِلَاهَا

وَأَنْتِ فَلَا نِزَاعَ فَتَصْرَعِينِي

أُجَاهِدُ فِي هَوَاكِ سَرِيرَتِي تُ

مَّ تُبْدِي مَا خَفَاكَ رُؤَى عُيُونِي

وَأَكْتُمُ عَنْكَ أَشْجَانَ الْفُؤَادِ

فَتَظْهَرُ فِي كَلَامِي وَالْحَنِينِ

فَكُفِّي كَمَا تَشَائِنَ كَلَامًا

وَمَا تَصِفِي فَذَاكَ سَنَا جُنُونِي

أُحِبُّكَ كَيْفَمَا عَزَّ اللَّقَاءُ

وَعَاشَتْ بَيْنَ جَنْبِينَا ظُنُونِي

وَأَقْرَأُ فِيكَ عُمْرِي كُلَّ عُمْرِي

وَأَذْكُرُ لِحْنِ إِبْدَاعِ رَصِينِ

أُحِبُّكَ لَسْتُ أَدْرِي عَنْ قَضَائِي

إِذَا حَكَمَ الْفِرَاقُ تَذَكَّرِينِي

١٩٨٧/٤/١

اللَّحْنُ الْحَبِيبُ

أَيَّ وَجْدٍ تُشْعِلِينَا نَحْنُ قَوْمٌ عَابِرُونَ
عِنْدَمَا هَاجَ الْفُؤَادُ حَمَرَ الدَّمْعُ الْعَيْونَا
فَانْتَشَرْنَا فِي دُنَانَا نَنْشُدُ الْفَرَحَ الدَّفِينَا
وَاسْتَقَيْنَاهُ هُمُومًا وَفُؤَادًا مُسْتَكِينَا
وَكَتَبْتُ الْحُلْمَ لِحْنًا خَافِقًا يَبْكِي عَلَيْنَا

فبدا اللّٰحنُ جَمِيلاً خالِداً في خافِقينا
أُتْرِعَ الكَأْسُ مِراراً فَشَرَبنا ما ارتَوينا
وَشَعَرنا بِدُوارٍ خانِقٍ في مُهَجَتينا
إِذْ بِها ذَكَرَى اللَّيالي تَزَحَفُ اليَومَ عَلينا
فَهَوانا ذا غَريبٌ قَدَّ أَتى يَمشي الهَويَنا
وانتَفَضنا من سُباتٍ وَذَكَرنا ما نَسينا
وَكَوَيْتُ الجُرحَ ناراً عَلَني أنسى لُبينا
فإِذا الحُبُّ خُلودٌ لَيسَ تَقديماً وَديَنا
نُخِبيءُ الأَحزانَ عَنكمُ وَهو فينا ما حَيينا

١٩٨٧/٥/١٢

مَدُّ الصَّعَالِيكِ

روايةٌ جَدِيدَةٌ لِقَصِيدَةٍ مَنَسِيَّةٍ
لِأَبِي الصَّعَالِيكِ عُرْوَةَ بِنِ الْوَرْدِ

يَا أَيُّهَا الْغَافُونَ فِي فِرْدَوْسِكُمْ

بَيْنَ الْأَرَائِكِ وَالْأَغَانِي

وَالْأَمَانِي السَّاحِرَةَ

تَبْنُونَ فَوْقَ حُطَامِنَا جَنَاتِكُمْ

فِي الْأَرْضِ لَا فِي الْآخِرَةِ

حُطُّوا عَصَا التَّرْحَالِ

وَاسْتَمِعُوا لَنَا

مَا عَادَ كَاهِنُكُمْ يُبْرِمْجُ عَقْلَنَا

لَسْتُمْ سُلاَلَةٌ نَاسِكَاتٍ طَاهِرَاتُ

لَسْنَا سُلاَلَةٌ نَاعِقَاتٍ فَاجِرَاتُ

إِنَّ الصَّعَالِيكَ دَوَائِرُ لِلْحَيَاةِ

وَالْمَدُّ آتِيكُمْ لَا مَحَالَةَ

حُكِّوا أَنْوْفَ الْكِبِيرِ

وَأَنْتَظِرُوا تَصَانِيفَ الْعَدَالَةِ

أَمْجَادُكُمْ فِي قَامُوسِنَا

رَمَزُ النَّذَالَةِ

يَا أَيُّهَا الْغَافُونَ فِي فِرْدَوْسِكُمْ

فِي عَهْدِكُمْ

كَمْ أُعِدِمْتَ أَحْلَامُنَا

كَمْ ذُرِّفَتْ دَمْعَاتُنَا

كَمْ فَرَّ لِلْمَوْتِ الْجِياعُ

أَسْمَاؤُنَا وَصِفَاتُنَا وَحَيَاتُنَا

تَفْتَرُّ عَنْ مُرِّ التِّياعِ

فَحَذَارِ مِنَّا إِنْ غَضِبْنَا

وَحَذَارِ مِنَّا إِنْ رَكَبْنَا مَوْجَةَ الْغَيْظِ الْكَبِيرَةِ

يَا مَنْ رَسَمْتُمْ هَالَةَ النَّبْلِ لِقُبْحِكُمْ

سَتَكُونُ صَفْحَتِكُمْ أَخِيرَةَ

يا أيُّها الغافونَ في فردوسكمُ
الجوعُ ينهشنا
وأنتم عابثونُ
والبردُ يصعقنا
وأنتم تسلبونُ
حتَّى الدموعَ من العيونِ
وخيامنا سترٌ لعورتينا ومأتمنا
ومهدٌ للجنونِ
ودياركمُ مرعى حَجَرٍ
وعيونكمُ تهوي علينا في ضجرٍ
ولعلَّكم لا تعرفونُ
بأنَّنا كلُّ البشرِ

ولعلَّكم لا تعرفونُ

أَنَّ الصَّعَالِيكَ عَلَى الْحَيَاةِ يُقَامِرُونَ

وَمِنَ الْجُنُونِ إِلَى الْجُنُونِ يُسَافِرُونَ

ولعلَّكم لا تعرفونُ

أَنَّ الصَّعَالِيكَ جَدَاوِلُ التَّغْيِيرِ مَلْحَمَةُ الْقُرُونِ

يَا أَيُّهَا الْغَافُونَ فِي فِرْدَوْسِكُمْ

مِنْ أَلْفِ عَصْرِِ الْبُؤْسِ يَجْتَرُّ السَّكِينَةَ

مِنْ أَلْفِ عَصْرِِ اللَّيْلِ يَجْتَا حُ الْمَدِينَةَ

لَا بَدَّ يَا فَجْرُ سَتَاتِي

وَتَمَوْتُ أَلْوَانُ حَزِينَةٍ

١٩٩١/٥/٥

علي طه النوباني

الأعمال الشعرية الكاملة

حتى عام ٢٠١٨



مَنْ حَقَّ الطَّرِيقُ أَنْ تَحْفَظَ الخُطَى

وَمَنْ حَقَّ الخُطَى أَنْ تَنْسَى مَرَارَةَ الطَّرِيقِ

تِلْكَ الأَغَانِي لَمْ تُكُنْ يَوْمًا سِوَى نَعِيقِ

شَقِّ المَدَى

فَظَنَّ المُسَافِرُ أَنَّ العَدُوَّ صَدِيقِ